لغز العميل السري



محمود سالم

لغز العميل السري

تأليف
محمود سالم



لغز العميل السري

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٢٥٣٠ ٢

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٧.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

المحتويات

رصاصة في الليل

استلقَى «تختخ» على فراشه وأطفأ النور ... كان قد قرأ بضعَ صفحاتٍ في كتاب «تاريخ النقود» ثم تركه جانبًا وقرَّر أن ينام، فقد كانت الساعة قد تجاوزَت منتصفَ الليل بقليلٍ ... ولم تكن والدتُه تُحِب أن ترى نورَ غرفته مُضاءً بعد العاشرة ... فهي تُحِب أن تُطبِّق في حياتها وفي حياة كلِّ مَن في البيت مبدأً «نَمْ مبكرًا واستيقظ مبكرًا» ... وكان «تختخ» يعتقد أن من حقِّه ما دام في الإجازة أن يسهر حتى ينتهيَ الإرسال التليفزيوني ... خاصةً إذا كان في البرنامج شيءٌ يُحِب أن يراه ... وكثيرًا ما كان يدور بينه وبين والدته نقاشٌ حول هذا الموضوع ... وكان والدُه يُفضِّل أن يقف على الحياد من المناقشة ... فلا ينضمُّ إلى أحدِ طرفَي النقاش.

في هذه الليلة لم يكن في التليفزيون شيءٌ يستحقُّ المشاهدة ... فصَعِد إلى غرفته وأخَذ يُقلِّب في كُتُبِه باحثًا عن شيءٍ يقرؤه حتى استقرَّ رأيُه على رواية لم يكن قد أتمَّها فانتهى من قراءتها في ساعتين ... ثم أمسك بكتاب النقود يقرأ فيه ولكنَّه شعر برأسه يتثاقل، ففضَّل أن ينام ... تقلَّب في فراشه فترة ... ودُهِش لأنه لم يَنَمْ على الفور ... وأخذ يُفكِّر ... هل هناك شيءٌ يُقلقه؟

وكعادته استعاد إلى ذهنه شريطَ الأحداث الذي مرَّ به طول النهار ... باحثًا عن شيءٍ يدعو إلى القلق ... ولكن اليوم كان عاديًّا جدًّا ... التقى بالمغامرين في الصباح ... تمشَّوا على كورنيش النيل ... أخذوا قاربًا وقضَوا ساعةً في النهر ... عادوا إلى الكازينو ثم ذهبوا إلى حديقة منزل «عاطف» وجلسوا يتحدَّثون ... كانت «لوزة» كالعادة متضايقةً؛ لأنهم لا يجدون لُغزًا يشتركون في حَلِّه ... شاهدوا الشاويش «علي» على درَّاجته ... لاحظوا أنه ينظر إليهم في استهتارٍ ... فسَّرَت «نوسة» هذه النظرة بأن الشاويش مشتركٌ في حلِّ لُغزٍ لا

يعرفه المغامرون ... وسرعان ما حاولت «لوزة» استنتاجَ هذا اللغز ... ولكن طبعًا لم يكن عندها أيُّ معلوماتٍ يمكن أن تبنيَ عليها استنتاجاتها ...

وقُرْب الغَداء افترق المغامرون، وعاد «تختخ» مع «زنجر» إلى البيت ولم يُغادره حتى الآن ... إذن ليس هناك ما يدعو إلى الأرق أو القلق ... فلماذا لا ينام؟!

غادر فراشه، وسار على ضوء الشارع الخفيف الذي يُضيء غرفتَه إلى النافذة، فتحها ووقف ينظر إلى السماء. كان الجو ما زال مُنعشًا رغم أن شهر يوليو كان قد بدأ ... ووقف قليلًا يَرقُب الشارع الخالي ... ثم استدار ليعود إلى فراشه ... ولكنه في هذه اللحظة سمع «زنجر» يُطلق زمجرةً خافتة، ثم ينطلق في الحديقة جاريًا ... وعاد «تختخ» إلى النافذة مُسرعًا، واستطاع أن يرى «زنجر» وهو يقفز سور الحديقة من مكان اعتاد أن يقفز منه ثم ينطلق جاريًا بجوار السور ... وسمع صوتَ أقدامٍ مسرعة وأدرك أن ثمة مطاردةً بين شخصٍ ما و«زنجر» ... لعله لصٌّ حاول أن يدخل الحديقة ... وأخذ «تختخ» يفكِّر بسرعةٍ فيما ينبغي عمله ... هل يلبس ثيابه وينزل ... أم أن اللصَّ سيبتعد سريعًا ... وقبل أن يتَّخذ قراره ... سَمِع صوتَ صراعٍ يدور بين «زنجر» وبين اللصِّ ... واتَّخذ قرارَه على الفور ... فتح النافذة على اتِّساعها ... بدأ ينزل على الشجرة التي اعتاد أن ينزل، ويصعد عليها إذا أراد ألَّا يُزعجَ أبوَيه بدخوله وخروجه ... ولكن لم يكَد ينزل من الفرع الأول إلى الفرع الثاني حتى مزَّق أحدُ الأفرع ظهْرَ البيجامة من ناحية الكتف، وحاول أن يتحرَّك، ولكنه وجد نفسه مُعلَّقًا في الغُصن كأنه معلَّقٌ على شمَّاعة ... أخذ يتحرَّك بحذرٍ، ولكنَّ الغصن كان قد امتدَّ على طول جاكتة البيجامة وقيَّد حركته ... وفي نفس الوقت سمع «زنجر» أثناء صراعه مع اللصِّ ... ثم سمع أزيزًا حادًّا أدرك على الفور أنه صوتُ رصاصةٍ أُطلقت من مُسدسٍ صامتٍ ثم سمع «زنجر» ينبح في ألمٍ شديدٍ ... وعاد يسمع صوت الأقدام مرةً أخرى ... وبسرعةٍ خلع جاكتة البيجامة، وتركها مُعلَّقة في الغُصن، وأخذ ينزل كالقرد حتى وصل إلى الأرض، انطلق يجري إلى حيث كان الصراع الدائر بين «زنجر» واللصِّ ... وقبل أن يَصِل إلى السور شاهد من بعيدٍ شخصًا يجري في اتِّجاه الشارع الرئيسي، ثم يختفي في ظلام سور الفيلات والعمارات العالية ... ومن المؤكَّد أنه كان نفسَ الشخص الذي اشتبك معه «زنجر».

فتح باب الحديقة وخرج ... كان «زنجر» ما زال ينبح، ولكنَّ صوتَ نُباحه مالَ إلى الخُفوت ... فاتَّجه إليه مُسرعًا، وجدَه مُلقًى على الأرض وقد رفَع إحدى قدمَيه الخلفيَّتَين إلى فوق ... وتحته كانت بركةٌ من الدماء ...

انحنَى «تختخ» على «زنجر» وأمسك بقدمه، كانت الدماء تسيل بغزارةٍ ولم يتردَّد «تختخ» خلع فانلته ومزَّق جزءًا منها، وأخذ يربط قدَمَ «زنجر» المصابة وهو يُحدِّثه: لا تَخَفْ يا «زنجر» ... ما دامت الإصابةُ بعيدةً عن القلب فلن تموت. وعندما نظر «تختخ» إلى وجه «زنجر» وجده يُمسك بين أسنانه قطعةً من القماش الأسود. وانحنَى عليه وأخرج القطعة من بين أسنانه ... ولم يكَدْ يفتحها حتى طارت منها قطعةٌ صغيرة من الورق ... فأسرع خلفها ... وأخذَت الريح تعبث بالورقة ... وتُحرِّكها من مكان إلى مكان و«تختخ» يجري خلفها ... وعندما انحنى ليُمسكها بعد مطاردةٍ طويلة فُوجئ بما لم يكن في حُسبانه.

انشقَّت الأرض عن الشاويش «علي» يركب دراجته ... كان قد خرج من شارع مجاور فلم يَرَه «تختخ» إلا وهو أمامه ... وأمسك «تختخ» بقطعة الورق الصغيرة بين أصابعه ورفع رأسَه ... كان الشاويش يقف بعد أن نزل من على الدراجة، وهو ينظر إلى «تختخ» بدهشةٍ شديدة.

كان «تختخ» قد نَسيَ تمامًا أنه خلَع جاكتة بيجامته ... ثم خلع فانلَّته وربط بها ساقَ «زنجر» المصابة ... لقد شغلَتْه مطاردةُ الورقة والحادث المُثير الذي حدث لـ «زنجر» عن تذكُّر ما جرى له هو شخصيًّا.

قال «تختخ» وهو ينظر إلى الشاويش في دهشة لا تقِلُّ عن دهشته: ماذا جرى يا شاويش «علي» ... إنك تنظر إليَّ وكأنني حيوانٌ من حيوانات ما قبل التاريخ؟

لم يردَّ الشاويش ... بل ظل يُبحلق في «تختخ»، وعاد «تختخ» يقول: ألَا تنطق يا حضرة الشاويش ... ألم ترَ أحدًا من قبل يسير في الشارع في ساعة متأخرة من الليل؟!

مدَّ الشاويش إصبعَه، وأشار إلى صدر «تختخ» العاري ... وتتبَّع «تختخ» اتجاه الإصبع وسرعان ما اتضحت له الحقيقةُ ... إنه عاري الصدر تمامًا حتى وسطه. وأحسَّ بالخجل الشديد ... ولكنه تمالَك نفسه سريعًا ... وفي هذه المرة تحدَّث الشاويش وقال: ماذا حدث لك؟ ماذا تفعل في الشارع وأنت عارٍ بهذا الشكل؟

أخذ «تختخ» يُفكِّر سريعًا ... هل يقول للشاويش عمَّا حدث؟ إنه في هذه الحالة لا بدَّ أن يذهب معه لكتابة محضرٍ في القسم بكل الأحداث التي مرَّت خلال الساعة الماضية ثم يضع نفسه تحت رحمة الشاويش لفترةٍ طويلة ... فسوف ينتهز الشاويش الفرصةَ ويستدعيه كلَّ يومٍ ليسأله. وفي نفس الوقت فهو لا يستطيع أن يُخفيَ ما حدث عن ممثِّل القانون ... فهناك رجلٌ قد حاول اقتحام منزله، وهناك رصاصةٌ أُطلقت ... وهناك إصابة

«زنجر» … ولكن قبل أن يَصِل إلى قرارٍ أسرع يقول للشاويش: ولكن يا شاويش «علي» أنت لم تَقُل لي ماذا تفعل أنت في هذا المكان في هذه الساعة من الليل؟!

بدأ الشاويش يعبث بشاربه كعادته كلَّما تضايَق وقال بغضبٍ: ليس من حقِّك أن تسألَني ماذا أفعل، ألستُ ممثِّلَ القانون في هذه المنطقة؟ إنني مسئولٌ عن أمنِ كلِّ مواطنٍ في هذا المكان، ومن حقِّي أن أتواجد في أيِّ وقتٍ!

وسكت الشاويش لحظةً يستجمع أنفاسَه ثم مضى يقول: إنني سوف أُخطر والدك بما حدث هذه الليلة.

وتضايق «تختخ» وقال: أعتقد أنه لا داعي لإقحام أبي في هذا الموضوع يا شاويش … ثم إننا أصدقاء نتعاون في تنفيذ القانون.

انتفخ وجهُ الشاويش وقال: أصدقاء! إنني لا أُصادق أطفالًا أمثالكم … أنا الشاويش «علي» ممثِّل القانون!

وعاد يركب درَّاجته وهو يقول: ثم هناك شيءٌ هامٌّ يجب أن تعرفه … إنك تُعرِّض نفسك لخطر شديد بنزولك إلى الشارع بهذا الشكل … فهناك إجراءاتٌ … ولكن قبل أن يُتمَّ جملتَه توقَّف … وارتسمَت على وجهه ابتسامةٌ غامضة ثم قال: إنكم تظنون أن عندكم القدرة على حلِّ الألغاز وخوض المغامرات … ولكن هناك أشياء لا يتدخَّل فيها أطفالٌ مثلكم!

قال «تختخ»: ولكن يا شاويش … كنت أريد …

ردَّ الشاويش بلهجةٍ خاطفة: تُريد أو لا تُريد، ليس عندي وقتٌ للحديث معك فهناك ما هو أهمُّ.

عاد «تختخ» يقول محاولًا سرْدَ ما جرى للشاويش: ولكن يا شاويش …

ولكن قبل أن يُكمل جملتَه كان الشاويش قد أطلق لدرَّاجته العِنان مُبتعدًا وترك «تختخ» واقفًا مكانه مذهولًا …

وفي هذه اللحظة مرَّت سيارةٌ فاخرة تسير ببطءٍ … ثم بدأت تتوقف في نفس المكان الذي كان «زنجر» يرقد عنده جريحًا … ولاحظ «تختخ» أن شخصًا نزل من السيارة فأسرع يجري تجاهه … وعندما سمع الرجلُ صوتَ أقدام «تختخ» التفت إليه … وعلى أضواء الشارع استطاع «تختخ» أن يلمح وجهًا غريبًا يُشبه وجهَ الفأر … وسُرعان ما أخفى الرجل وجهَه وراء يده … ونظر حوله في الأرض نظرةً شاملة … ثم أسرع مرةً أخرى إلى السيارة التي انطلقت به مسرعةً وترك «تختخ» يقف مذهولًا في وسط الشارع!

مشهدٌ من النافذة

رغم سرعة إيقاع الأحداث التي مرَّت ﺑ «تختخ» إلَّا أنه لم ينسَ أن يحفظ أرقام السيارة، لقد تمَّ ذلك أوتوماتيكيًّا ... فالمغامر الذكي تعمل حواسُّه تلقائيًّا ... وهكذا قامت عيناه بالتقاط رقم السيارة ... وقام مخُّه بتسجيل الرقم في ذاكرته ... وكان الرقم ٧٥٧٥٧ على لافتة الأرقام الخضراء ... فهي إذن سيارة ديبلوماسية ... وانحنى «تختخ»؛ ليحمل «زنجر»، رفعَه بين ذراعَيه ووقف ... وقعَت عيناه على شيءٍ يلمع كان مختفيًا تحت «زنجر» ... فانحنى والتقطه ... كان قلمًا أضخمَ قليلًا من الحجم العادي ... وأثقل وزنًا ... وفكَّر «تختخ» لحظاتٍ ... ثم مضى يحمل «زنجر» ...

كانت المشكلة كيف يدخل ﺑ «زنجر» ... إلى الفيلا ليفحصه ... كانت الساعة قد تجاوزت الثانية صباحًا ومن غير المعقول أن يدقَّ الجرسُ فيُوقظ والدَه الذي كان عادةً يستيقظ سريعًا.

ووقف أمام الفيلا لحظاتٍ ... ثم ابتسم وهو يَلعن غباوته ... فقد كانت هناك طريقةٌ وحيدة لدخول المنزل ... وهكذا وضَع «زنجر» على الأرض وقال له وهو يربت عليه: لا تخَفْ يا «زنجر» سأعود إليك سريعًا.

ودار حتى وصل إلى الشجرة التي نزل عليها، وتسلَّقها سريعًا، ثم نزل من النافذة إلى غُرفته ... ونزل سلالم الفيلا الداخلية بهدوءٍ، ثم ذهب إلى باب المطبخ الخلفي وفتحَه وخرج إلى حيث وضع «زنجر» وحملَه مرة أخرى، ودخل به إلى الحمَّام.

فكَّ الرباط الذي ربط به ساق «زنجر» المصابة ... ولدهشتِه وجد أن الدماء قد توقَّفت عن النزف ... وأدرك أن الجُرح ليس عميقًا ... فقال ﻟ «زنجر»: تحمَّل قليلًا يا «زنجر» حتى أطمئن على إصابتك ...

ثم أخذ يتحسَّس العظام هنا وهناك ... ووجد العظام سليمةً، وكذلك المفاصل، ووجد أن الرصاصة قد أصابَت اللحم، ثم مضَت في طريقها، فقال مبتسمًا: كل شيءٍ على ما يُرام يا «زنجر» ... ليس هناك أيُّ مشكلة ... سنُطهِّر الجرح ونربطه وستتناول وجبةً ساخنة وستصبح على ما يرام في الصباح.

وحمل «زنجر» إلى الحمَّام، وقام بغسل الجرح جيدًا، ثم وضع عليه بعض المطهرات وربطه جيدًا، ثم عاد ومعه «زنجر» إلى المطبخ، فأعدَّ له وجبةً ساخنة من اللحم وضعها أمامه، ثم ذهب هو إلى الحمَّام فاغتسل ... وغيَّر ثيابه ... ثم عاد إلى «زنجر» ... فوجده قد انتهى من طعامه واستغرق في نوم عميق فتركه وخرج.

عاد «تختخ» إلى غرفته ... وتذكَّر قطعة القماش وقطعة الورق ... والقلم، وضع قطعة الورق على الكومودينو، والقلم على الفراش ... فوضعهما معًا أمامه على مائدة صغيرة، وجلس ... أخرج قطعة الورق وأخذ يتأمَّلها ... ولكنه تنبَّه فجأةً إلى صوت سيارة تُقبل من أول الشارع، فتابع صوتَها بأُذُنَيه، وعندما توقَّفت أدرك أنها توقَّفت في المكان الذي أُصيب فيه «زنجر»، فقام مُسرعًا والتصق بالجدار داخل غرفته، ونظر من النافذة ... وعلى مصباح الشارع شاهد نفس السيارة، ونفس الرجل ... كان الرجل قد أخرج بطاريةً وأطلق شُعاعها القويَّ على الأرض، وأخذ يبحث عن شيء ... أدرك «تختخ» على الفور أنه يبحث عن القلم الذي وجده تحت «زنجر».

كانت جاكتة الرجل ممزَّقةً، وقد تهدَّل جيبُها في المكان الذي اقتطع منه «زنجر» قطعةَ القماش ... وأخذ الرجل يدور ويدور وهو منحنٍ على الأرض ... ثم رفع رأسَه ونظر حوله ... ووقع نظرُه على نافذة «تختخ» ... فأخذ ينظر إليها طويلًا ... كانت هي النافذة الوحيدة المضاءة في هذه الساعة ... وربما هكذا فكَّر «تختخ» أن يكون الرجل شاهد جاكتة البيجامة التي كانت ما تزال معلَّقةً على أغصان الشجرة.

ظل «تختخ» منكمشًا بجوار جدار الغرفة وهو يرى الرجل من بعيدٍ ... كانت عشرات الخواطر تدور في ذهنه ... تمنَّى أن يعرف ما هي حكاية هذا الرجل في هذا المكان ... وما الذي جاء به قُرْب منزل «تختخ» بالذات ... وما الأهمية البالغة التي بهذا القلم الذي يبحث عنه ... وكيف جَرُؤَ على إطلاق الرصاص على «زنجر»؟ هل يحتمي بصفته الديبلوماسية التي تحميه من القبض عليه إلا بعد استئذان دولته، أو ضبْطه متلبِّسًا بجريمة؟

وتمنَّى أيضًا لو استطاع أن يتَّصل بالمفتش «سامي» فورًا ... لعلَّه يجد في سلوك هذا الرجل ما يُريب ... وهو مريبٌ فعلًا ... وقبل أن يسترسل «تختخ» في مزيد من الخواطر،

كان الرجل قد استدار وركب سيارته التي كان قد ترك محرِّكها دائرًا ... ثم انطلق مُبتعدًا بسرعة كبيرة.

عاد «تختخ» إلى قطعة الورق التي ضمَّها «زنجر» مع قطعة القماش ... وبحذر شديد أخذ «تختخ» يفرد قطعة الورق ثم انحنى عليها مدقِّقًا، محاولًا أن يقرأ بعض الكلمات التي تناثرت هنا وهناك ... ولكن النعاس الذي أخذ يُثقل جفنَيه لم يُتِحْ له فرصةَ القراءة، فترك الورقة مكانها ... ثم قام فأغلق النافذة خوفًا من أيِّ محاولةٍ للدخول كما حدث في مغامرات سابقة ... ثم استلقى على الفراش وسرعان ما استغرق في النوم ...

عندما استيقظ «تختخ» في صباح اليوم التالي كانت الساعة قد تجاوزَت التاسعة ولم يَكَد يفتح عينَيه، ويستوي في فراشه حتى سَمِع صوت «حُسنية» الشَّغالة وهي تُناديه ... كانت هناك مكالمةٌ تليفونية له.

نزل «تختخ» من فراشه مسرعًا إلى الصالة، وأمسك سماعة التليفون، وكان المتحدث هو «عاطف» الذي قال: «تختخ» ... ماذا حدث أمس؟

ذُهِل «تختخ» فلا أحدَ في العالم يعرف ماذا حدث أمس إلا هو و«زنجر»، فردَّ في دهشةٍ: ماذا هناك يا «عاطف»؟ ماذا تقصد بهذا؟

عاطف: لا أدري سوى أن الشاويش «فرقع» قد حضر منذ نحو نصف ساعة وروى لنا قصة غريبة عنك!

ابتلع «تختخ» ريقَه، فقد خشيَ أن تكون المسألة أكثر من هذا وقال: ماذا قال لكم بالضبط؟

عاطف: يقول إنه رآك بالمايوه على بلاج المعادي!

وضحك «عاطف» وعرَف «تختخ» أنه كالعادة يسخر منه، فقال له: احجز الشاويش عندك ولا تتركه يُغادركم حتى أحضر.

ثم وضع السماعة دون أن ينتظر ردًّا، وقفز إلى الحمَّام، ثم إلى دولاب الملابس ... ثم إلى الصالة حيث تناول إفطارًا خفيفًا، ثم إلى المطبخ حيث اطمأنَّ على «زنجر» ثم خرج فقفز على درَّاجته، وانطلق بها في اتجاه منزل «عاطف».

عندما وصل «تختخ» إلى منزل «عاطف» شاهد الشاويش «علي» يجلس بين المغامرين وهو يتحدَّث بحماسٍ، فعرف أنه يُحدِّثهم عمَّا حدث أمس ليلًا، وربما أضاف من خياله تفاصيلَ أخرى لم تحدث ... فمن غير المعقول أن الدقائق التي التقيَا فيها أمس تستحقُّ كلَّ هذا الحديث.

عندما ظهر «تختخ» عند مدخل الحديقة سكت الشاويش عن الكلام ... ولمعَت عيونُ المغامرين، وبدَت البهجة على وجه «لوزة» فقد أدركت أن شيئًا ما سيحدث يُبعِد عنها هذه الحياة الراكدة التي تحياها بلا مغامراتٍ ولا ألغازٍ.

أخذ الشاويش يبرم شاربَه كعادته وهو ينظر إلى «تختخ» باستخفافٍ ... كان يُشبه قِطًّا يُداعب فأرًا قبل أن يلتهمَه ولم يدرِ الشاويش أن «تختخ» مستعدٌّ لهذا الحوار وأنه لا يمكن أن يكون فأرًا في أيِّ وقتٍ.

وقد بدأ «تختخ» الهجوم فورًا فقال: ماذا قلت لأصدقائي يا حضرة الشاويش، لقد سمعت من «عاطف» قولك إنك رأيتني بالمايوه على كورنيش النيل!

تلعثم الشاويش أمام هذا الهجوم، واعتدل في جِلْسته ليردَّ ولكن «تختخ» سارعَ إلى معالجته بصدمة أخرى، فقال: ولنفرض أن هذا حدَث يا حضرة الشاويش فهل هناك قانونٌ يمنع الشخص من التواجد على شاطئ النيل بالمايوه؟

وقف الشاويش متضايقًا وصاح: إنني لم أَقُل أيَّ شيءٍ من هذا الكلام الذي تقوله، ولكن المشهد الذي رأيته أمس لا يمكن أن يكون من شخص عاقل! إنك كنت تتجول في الشوارع عاريَ الصدر بدون سبب واضح!

جلس «تختخ» وقال: هل يمكن أن تجلسَ لحظةً يا شاويش ... إن هناك حديثًا هامًّا لا بد أن تسمعه بصفتك ممثِّلَ القانون في هذه المنطقة.

ظل الشاويش واقفًا لحظاتٍ كأنما لا يريد أن يسمع كلام «تختخ» ولكن لهجة «تختخ» أقنعَتْه أنه يتحدَّث عن شيء حقيقي ... وأنه جادٌّ ولا يُعَدُّ مقلبًا كما اعتاد المغامرون أن يفعلوا.

جلس الشاويش ... وترَك شاربه وقال «تختخ» موجِّهًا حديثَه إلى المغامرين: إن هذا الحديث يخصُّكم أيضًا ... فنحن على أبواب مغامرة جديدة!

ثم أخذ «تختخ» يروي الأحداث التي مرَّ بها ليلة أمس بالتفاصيل ... وأخذ الأصدقاء والشاويش يستمعون في شغفٍ واهتمامٍ ... وظل «تختخ» يروي حتى انتهى من قصته ... ولكنه أخفى شيئين هامَّين عن الشاويش، قطعة الورق التي وجدها داخل قطعة القماش التي انتزعها «زنجر» من بدلة الرجُل ... والقلم غير العادي الذي سقط من الرجل ... كان يُريد أن يُبقي هذين الدليلين معه حتى ينتهي من فحصهما ثم يسلِّمهما بعد ذلك إلى الشاويش.

وعندما انتهى «تختخ» من حديثه أطلق الشاويش قنبلةً، ولكنه لم يُفجِّرها ... قال الشاويش: إنكم لا تعلمون ... إن أجهزة الأمن في بلادنا كلها تبحث عن رجلٍ له هذه الأوصاف.

تختخ: لماذا يا شاويش؟ ماذا فعل هذا الرجل؟!

تغيَّر لونُ وجهِ الشاويش ثم هبَّ واقفًا وقال: لا يمكن أن أقول لكم ... إنكم تتدخَّلون في عملي ... إنني لا أسمح لكم ...!

تحدَّث «عاطف» أخيرًا وقال: إنها فرصتُك أن تقولَ لنا يا شاويش لعلَّنا نستطيع أن نُساعدَك في القبض على هذا الرجل.

الشاويش: لا يمكن ... إنني ...

وقبل أن يُتمَّ جملتَه انطلق مسرعًا، وقفز على درَّاجته ثم اختفى عن عيون المغامرين الذين ظلُّوا ينظرون إلى الشارع الذي اختفَى فيه الشاويش ... ثم انفجر «عاطف» ضاحكًا، وقال: لقد أُصيب الشاويش بأرتكاريا مفاجئة ... إننا نُصيبه بحساسية شديدة كلَّما عرضنا عليه أن نُساعدَه.

قال «تختخ» بغموض: ونحن نستطيع أن نساعدَه فعلًا.

٣٣ / ١١٠٠

التفَّ المغامرون حول «تختخ» بعد هذه الجملة ... كان واضحًا من أسلوبه ولهجته أنه يُخفي الكثير ... وكان ذلك صحيحًا ... فقد طلب منهم الانتقالَ من الحديقة إلى الكشك الصيفي حيث يتوفَّر الأمان أكثر ... وعندما دخلوا أغلق «تختخ» خلفه الباب ثم قال: من الواضح أنكم أحسستم أن ثَمة أشياء غير عادية!

قالت «لوزة» منفعلةً: هذا واضح جدًّا!

وضع «تختخ» يدَه في جيبه، وأخرج قطعة القماش وبها قطعة الورق ... ثم أخرج القلم العجيب الذي عثر عليه تحت «زنجر» ثم قال للمغامرين: هذا كلُّ ما أخفيتُه عن الشاويش وقد كنتُ أنوي أن أُظهرَه لو أنه انتظر.

واتَّجه الأصدقاء ينظرون إلى الورقة وقطعة القماش والقلم. ثم مدَّت «نوسة» يدَها وفتحَت قطعة القماش ... وشاهدت الورقة ... كانت ورقةً ممزَّقة من جريدة أخذَت «نوسة» تُقلِّبها لحظات ثم قالت: إنها قطعةُ ورقٍ من جريدة الأهرام من صفحة الإعلانات المبوَّبة!

قالت «لوزة» متسائلةً: مبوَّبة ... ماذا تعني هذه الكلمة؟

قال «مُحِب»: كلمة تعني التقسيم ... أي الإعلانات المقسَّمة إلى أبواب!

تختخ: إن «نوسة» باعتبارها أكثرنا حُبًّا للقراءة أصبحت حقًّا خبيرةً في كل ما يتَّصل بالورق والقلم ... فما هي بقية استنتاجاتك يا «نوسة»؟

عادت «نوسة» تُقلِّب في الورقة لحظات ثم قالت: إن الورقة ممزَّقة، وقد أصبحت قراءتُها متعذرةً ... ولكن ليس من الصعب العثور على نسخة من العدد الذي نُشرت فيه، حتى يمكن قراءتها كاملة!

ثم قلَّبت الورقة وقالت: في الظهر إعلانٌ عن فيلم «العربة الطائشة» وهذا الفيلم يوجد في سينما مترو منذ أسبوع ... في إمكاني العثور على عدد الأهرام الذي نُشر فيه الإعلان ثم نقرأ كل ما في الورقة؛ لنعرف أهمية هذه الورقة للرجل، ولماذا كان يحتفظ بها في جيبه!

تختخ: عظيم ... ستقومين أنتِ بهذه الأبحاث ... والآن سنعرف ما هي حكاية هذا القلم العجيب.

أمسك «مُحِب» بالقلم وأخذ يُقلِّب فيه، ثم كتب به بضعَ كلماتٍ وقال ضاحكًا: للأسف إن سِنَّه ليست مريحةً!

تختخ: باعتبارك أكثرَنا اهتمامًا بالآلات الدقيقة ... فإننا سنترك لك هذا القلم العجيب لتحاول معرفة حكايته ... وسنقوم الآن ببعض الاستنتاجات حول الأحداث التي وقعَت أمس ... فمن المؤكد أننا أمام مغامرةٍ من نوع فريد!

قالت «لوزة» متحمسة: نعم ... نعم ... إنني أحسُّ بهذا تمامًا ...

قال «عاطف» ضاحكًا: قد لا تكون مغامرةً ولا شيء على الإطلاق ... ربَّما مجرد رجلٍ كان يسير بجوار الفيلا، وظَّن «زنجر» أنه لصٌّ أو متشرِّد، فانطلق خلفه ودارَت هذه المعركة ... فلا داعي إذن أن تجعلوا من الحبة قُبة!

نظر إليه المغامرون دون أن يضحك أحد ثم قال «مُحِب»: إنه متشرِّدٌ عصريٌّ جدًّا هذا الذي يركب سيارة بأرقام ديبلوماسية ... ويلبس بِذْلة من أحدث طرازٍ كما وصفه «تختخ» ويملك مسدَّسًا صامتًا ... إنها مواصفات متشرد من طراز فريد!

أحنَى «عاطف» رأسَه أمام هذه الحجج الدامغة وقالت «لوزة»: إن أول سؤال خطر ببالي هو ... هل كان وجود هذا الرجل بجوار فيلا «تختخ» من قبيل المصادفة أم قصَد هو أن يذهب إلى هناك؟

مرَّت لحظات قبل أن يقول «تختخ»: في الواقع إن هذا سؤالٌ هامٌّ جدًّا ... ولو كنا نعرف الإجابة عليه لأوضح لنا أجزاء كثيرة غامضة من هذه المغامرة!

مُحِب: من الواضح أننا لا نستطيع الإجابة على السؤال ... فلنترْكه جانبًا ونبحث عن شيءٍ آخر، مثلًا: لماذا انطلق «زنجر» خلف الرجل؟ هل دخل الفيلا يا «تختخ»؟

تختخ: لا ... لقد كان خارج الحديقة ... وفجأةً سمعتُ «زنجر» يُزمجر وينطلق بسرعةٍ، وينقضُّ عليه!

نوسة: لو كان «زنجر» يستطيع الكلام لسألناه ... ولكن علينا أن نعتمد على أنفسنا في حلِّ اللُّغز!

تختخ: ما رأيكم لو اتصلنا بالمفتش «سامي»؟

لوزة: نعم ... تعالوا نتصل به!

وكان جهاز التليفون موجودًا في الكُشك الخشبي، وقام «تختخ» بالاتصال بالمفتش «سامي» في مكتبه وعرف أنه سافر في مهمة إلى بورسعيد تستغرق بعض الوقت، ولا يعرفون متى سيعود.

وضع «تختخ» السمَّاعة ثم قال: لم يَعُد أمامنا إلا أن نعتمد على أنفسنا ... وعندنا الآن عددٌ من الأسئلة يجب الحصول على إجابات عليها لتقييم الموقف، قالت «نوسة» وهي تُمسك بقطعة الورق وتتأملها: أَقترحُ أن نُؤجِّل حديثَنا كلَّه إلى اجتماع نعقده في المساء، وسأقوم أنا بفحص هذه الورقة ... والعثور على عدد جريدة الأهرام الذي فيه هذه القطعة من الورق، وقراءة كل الصفحة لعلَّنا نعثر على الهدف من هذه الورقة التي كان الرجل يحتفظ بها في جَيبه.

أيَّد «مُحِب» فكرةَ تأجيل الاجتماع قائلًا: وأنا أيضًا أريد أن أفحص هذا القلم لعلَّني أعثر فيه على شيء غير عاديٍّ، فربما كان قلمًا ثمينًا يساوي مبلغًا كبيرًا، أو قلمًا أثريًّا له قيمةٌ غير عادية ... وكلُّ هذا سيُحدِّد خطوتنا القادمة ...

وافق المغامرون الخمسة على تأجيل الاجتماع، وعاد «تختخ» سريعًا إلى منزله، فقد كان يريد أن يرى ما حدَث لـ «زنجر» ... ولم يَكَد يَصِل إلى هناك حتى وجَد مفاجأةً في انتظاره ... فقد أحضرَت له الشغالة «حسنية» ورقة صغيرة، وقالت: لقد حضَر هنا شخصٌ غريب، وهو لا يعرف اسمَك، ولكنه وصفَك ووصفَ «زنجر»!

سألها «تختخ»: وماذا كان يريد؟

حُسنية: كان يريد مقابلتك لأمرٍ هامٍّ!

تختخ: وماذا قلت له؟

حسنية: لا شيء ... قلت له إنك خرجت ... فترك لك هذه الورقة!

تناول «تختخ» الورقة من «حسنية» ... وقرأها ... لم يكن فيها إلا سطرٌ واحد بخطٍّ واضح «أرجو الاتصال بي في رقم ٣٧٨٨٣ بعد السابعة مساء للأهمية ...»

ولم يكن هناك أيُّ توقيعٍ.

فكَّر «تختخ» سريعًا ... إنه لا يعرف صاحبَ هذا الخط، كما أنه كان مع المغامرين، منذ دقائق فمِن غير المعقول أن يكون واحدًا منهم ... وليس هناك شخصٌ يعرفه يهمُّه أن يتصلَ به بهذه السرعة ... ولم يكن هناك إلا شخصٌ واحد ممكن أن يهتمَّ بأن يُحدِّثَه بهذا

الاهتمام، هو الرجل الذي رآه بالأمس راكبًا السيارة ذات الأرقام الديبلوماسية ... الرجل الذي فقد قطعةً من قماش بدلته ... وفقد القلم الغريب.

كان من الواضح أن رقم التليفون في المعادي ... ونظر «تختخ» إلى ساعته ... كانت ما تزال قبل الواحدة ظُهرًا ... ومعنى هذا أن عنده نحو ستِّ ساعاتٍ قبل أن يتصل بالرجل.

كان الجوُّ حارًّا ... فغيَّر «تختخ» ثيابَه بثياب أخف ... واغتسل وجلس وحيدًا يُفكِّر في كل ما حدَث ... ثم قرَّر أن ينزل لرؤية «زنجر» وقضاء بعض الوقت معه ... ووجد الشغالة «حسنية» قد نقلَت الكلب الأسود العزيز إلى الكُشك الخشبي الصغير في نهاية الحديقة فذهب إليه «تختخ» وأخذ يُداعبه ... ووجده ما زال مُتعبًا، ولكنه يستطيع السيرَ على قدمه المصابة وإن كان يعرج قليلًا ...

لم تمضِ دقائق على وصول «تختخ» إلى مكان «زنجر» ... حتى كانت «حُسنية» تستدعيه، قالت له إن هناك مكالمةً تليفونية ... أسرع «تختخ» إلى الفيلا بعد أن طلب من «حُسنية» أن تُضاعف لـ «زنجر» كمية الطعام.

كانت المكالمة التليفونية، من «نوسة» التي قالت وهي تلهث: «تختخ» لقد عثرتُ على عدد جريدة الأهرام الذي صدر منذ ثلاثة أيام ... وهو العدد الذي عثرنا على قطعة منه داخل قطعة القماش!

تختخ: عظيم ... ماذا وجدت؟

نوسة: إنها صفحة ٧ و٨ من الأهرام، الصفحة السابعة هي صفحة الرياضة وكل ما فيها حديث عن مباراة الأهلي والزمالك ... ومَن هو الفريق الأفضل وذلك بمناسبة لقائهما في مباراة الدوري!

تختخ: وهل هذا مهمٌّ؟

نوسة: بالطبع لا ... ولكن ظهر الصفحة أي صفحة ٨، هناك عددٌ من الموضوعات عن وزارة الزراعة ... وتحقيق صحفي عن مُهرِّب مخدراتٍ مشهور ... تم القبض عليه.

تختخ: لعل هذا الموضوع يهمُّنا!

نوسة: لا أعتقد هذا ... إنما المهم هو مجموعة الإعلانات المنشورة في نصف الصفحة الأسفل ... هناك إعلانات فيها كلمة المعادي.

قال «تختخ» باهتمامٍ: معك حقٌّ ... هذا يهمُّنا جدًّا!

نوسة: الإعلان الأول تحت عنوان فيلا للبيع، وأخذت تقرأ الإعلان، فيلا مكوَّنة من ثلاثة أدوار على مساحة ٣٠٠ متر ... حولها حديقة ٧٠٠ متر بها جراج وجميع الكماليَّات ...

الحديقة فيها قسمٌ خاصٌّ للصبَّار النادر، وفي الفيلا مجموعة رائعة من التابلوهات العالمية والفضيَّات والتماثيل، اتصل برقم ٩٧٢٥١٥ مكتب البائع، أو بالعقار ذاته ٣٧ شارع ٩ بالمعادي.

فكَّر «تختخ» لحظات ثم قال: لا أجد في هذا الإعلان شيئًا غير عاديٍّ ... فما هو الإعلان الثاني؟

قالت «نوسة»: إعلان تحت عنوان بيع تماثيل إذا كنت من هواة التماثيل، فإن أكبر مجموعة من التماثيل معروضة للبيع، خاصة مجموعة مكوَّنة من ثلاثة تماثيل للقرود الصينية الشهيرة ... مجموعة لا أسمع، لا أرى، لا أتكلم. صنعها الفنان الصيني «شي. ليه. يانج» في القرن ١٨، وكانت في حوزة الإمبراطور «هيسيبيانج السابع» ثم انتقلت بعد ذلك إلى أيدٍ كثيرة حتى وصلت إلى القاهرة.

اتصل ٣٣ / ١١٠٠ المعادي.

قال «تختخ» منفعلًا: إعلان عجيبٌ!

نوسة: نعم ... لفت نظري أنا أيضًا.

تختخ: إنَّ عندنا معلوماتٍ هامة ... ولكن الأهم من هذا كلِّه أن الرجل الذي رأيتُه أمس الذي أطلق الرصاص على «زنجر» يطلب مني الاتصال به في رقم تليفون ٣٧٨٨٣ هذا المساء ...

القنبلة

ظلَّت «نوسة» لحظاتٍ لا تُجيب ثم قالت: مدهش يريدك أن تتصل به.

تختخ: نعم جاء إلى المنزل ولم أكن موجودًا وترك لي ورقةً بها رقم التليفون.

نوسة: وماذا ستفعل؟

تختخ: سأتصل به طبعًا.

نوسة: ولكن!

تختخ: ولكن ماذا؟ إنه لن يخرج من جهاز التليفون شاهرًا مسدَّسَه.

نوسة: وبالنسبة للإعلانات؟

تختخ: اتَّصلي بالأصدقاء، واذهبوا إلى العنوان في الإعلان الأول واسألوا … فإذا لم تجدوا شيئًا ذا أهمية، فاذهبوا إلى العنوان الثاني.

نوسة: ألم تلاحظ شيئًا غير عاديٍّ في العنوان الثاني؟

تختخ: ما هو؟

نوسة: رقم ١١٠٠، من غير المعقول أن يوجد في شارع ٣٣ منزل بهذا الرقم، فليس في المعادي كلها شارع بهذا الطول، وأنا أذكر شارع رقم ٣٣، إنه ليس شارعًا طويلًا إلى هذا الحد.

تختخ: معك حقٌّ … ولكن ربما كان هذا خطأً مطبعيًّا!

نوسة: سنحاول على كل حالٍ.

تختخ: وسنلتقي في الثامنة مساء في حديقة منزل «عاطف»، وسنتبادل المعلومات فربما توصَّلْنا إلى شيء.

ووضع «تختخ» السمَّاعة وجلس ساكنًا يفكِّر … إن الأمور تسير بسرعةٍ غير عادية … والمفتش «سامي» ليس موجودًا … وعليهم الاعتماد على أنفسهم، بعد أن رفض الشاويش

«علي» التعاونَ معهم ... وأحسَّ «تختخ» بحواسِّه تستيقظ ... وبرغبة المغامرة تسري في عروقه. وعندما نزل للغداء، كان واضحًا أنه مشغولٌ جدًّا ... حتى إن والدته لاحظت أنه يملأ ملعقتَه بالطعام ثم يمدُّ يدَه بالملعقة إلى فمه ... ثم يتوقف ولا يضع الطعام في فمه ... بل يظل مُمسكًا الملعقةَ في يده، وعيناه تنظران إلى بعيد ... كأنه يبحث عن شيء مجهول ...

قالت والدتُه معلِّقة: ماذا جرى يا «تختخ»، يبدو عليك كأنك تبحث عن خاتم سليمان!

انتبَه «تختخ» وقال: خاتم سليمان ... أين هو؟

قال والده مُندهشًا: هل تبحث حقًّا عن خاتم سليمان؟

تختخ: لا ... ولكني سمعت الوالدة تتحدث عنه!

هزَّ والد «تختخ» رأسَه في دهشة وسكت ... واحمرَّ وجهُ «تختخ» خجلًا، وأحنَى رأسَه على الأطباق، وأخذ يتناول طعامه بسرعة وتركيز ... وبعد أن انتهى منه وغسل يدَيه، أسرع إلى غرفته ثم تمدَّد على الفراش واستغرق في التفكير.

هبط المساء على المعادي بطيئًا، وكان «تختخ» يقف في نافذة غرفته، يتأمَّل بقايا أشعة الشمس الغاربة وهي تنسحب في جانب الأفق الغربي ... حتى إذا تمَّ غروب الشمس، خلَّفت وراءها ضياءً خفيفًا أخذ يعتم تدريجيًّا ... وسرعان ما ارتدَّ «تختخ» إلى داخل الغرفة ونظر إلى التليفون، ثم إلى ساعته، وجلس وأخذ يُدير قُرصَ التليفون. مرَّت لحظاتٌ ثم سَمِع صوتَ الجرس وهو يدقُّ عند الطرف الآخر ... وسرعان ما سَمِع صوتَ رجل يردُّ ...

قال «تختخ»: هل هذا رقم ٣٧٨٨٣؟

ردَّ الرجل: نعم ... مَن أنت؟

قال «تختخ»: أنا الذي طلبتُ منه الاتصال بك بعد السابعة مساء!

بدأ التلهف على صوت الرجل وهو يقول: أنت «توفيق» صاحب الكلب الأسود؟

تختخ: نعم ... الكلب الذي أطلقتَ عليه الرصاص!

الرجل: آسفٌ جدًّا ... إنه هو الذي اضطرني إلى ذلك، إني أُحِب الكلاب جدًّا، ولا أستطيع أن أُوذيَ كلبًا مهمًّا كان، ولكنه انقضَّ عليَّ، ولم يترك لي فرصةً للدفاع عن نفسي ... المهم كيف حاله الآن؟

تختخ: إنه على ما يرام ... والآن ماذا تريد؟

الرجل: إنني أعتقد أنك عثرتَ على قلمٍ أسود اللون، أضخم من القلم العادي قليلًا ليلة أمس!

تردَّد «تختخ» لحظاتٍ، فقال الرجل يستحثُّه: إني أُحدِّثك من أجل مصلحتك!

تختخ: مصلحتي أنا؟

الرجل: نعم ... فإذا كنت قد عثرتَ على القلم فلا تتردَّدْ في الإجابة!

تختخ: هل تُهدِّدني؟

الرجل: مطلقًا لا ... ولكني أُحِب أن أقولَ لك إنه من الأفضل لك أن تُعيدَ القلم لي فورًا ... دون أن تعبثَ به.

تختخ: وإذا لم أردَّه؟

الرجل: في هذه الحالة أكون غيرَ مسئولٍ عمَّا يحدث لك ...

صمتَ «تختخ» لحظاتٍ يقيس كلام الرجل ... ويفكر في الأضرار التي يُمكن أن تُصيبَه من قلمٍ وجدَه ... ولم يُصدِّق أن هذا القلم يمكن أن يُحدِث أيَّ ضررٍ ... ولكن الكلمات التالية كانت مفاجأةً كاملة ...

قال الرجل: إن القلم الذي معك هو ببساطة «قنبلة».

أحسَّ «تختخ» أن خِنجرًا أصاب قلبَه ... ذلك أنه أعطى القلم «لمُحِب» ومن المؤكد أن «مُحِب» الآن يعبث بالقلم ... وربما انفجر وقتلَه ... بل ربما يكون «مُحِب» الآن قد مات فعلًا بعد أن انفجرَت فيه هذه القنبلة التي على شكل قلم.

قال «تختخ» بصوت لا يكاد يُسمَع: تقول ... قنبلة؟!

قال الرجل: نعم ... قنبلة ... وهناك جزءٌ خاصٌّ صغيرٌ جدًّا فيها إذا تحرَّك من مكانه فإنها تنفجر حسب المسافة التي تحرَّك فيها هذا الجزء. قد تنفجر بعد دقائق أو بعد ساعات ... فهذا الجزء الصغير هو جهاز توقيت لضبط الوقت الذي تنفجر فيه القنبلة.

أخذت السماعة ترتعش في يد «تختخ» ... فالمسألة أخطر مما تصوَّر بكثيرٍ ... وأدرك في هذه اللحظة لماذا كان الرجل ملهوفًا وهو يبحث عن القلم ... ولم يَدْرِ «تختخ» ماذا يقول وهو يسمع الرجل يتحدَّث قائلًا: أَعِد القلم فورًا. وسأُعطيك خمسين جنيهًا مكافأة لك على احتفاظك به ... وإذا لم تكن تُريد إعادتَه ... أَلْقِهِ في النيل.

قال «تختخ»: ولكن ...

قال الرجل: أنصحك ... بل أرجوك ألَّا تتردَّدَ، إن حياتك، وربما حياة أسرتك كلها متوقفةٌ على إعادة القلم. وعلى كل حالٍ ... إذا كنت لا تريد أن تمدَّ يدَك عليه خوفًا من أن ينفجر، فسوف أحضر فورًا لآخذَه منك.

تختخ: إنك لا تعرف ما حدث ... لقد أخذه أحدُ أصدقائي.

صاح الرجل بغضبٍ جامح: ماذا تقول ... ماذا تقول ... صديقك؟!

ولكن «تختخ» لم يردَّ عليه ... لقد وضع السمَّاعة وقفز كالملسوع، بل كالمجنون وأخذ يقفز السلالم دون أن يلتفت إلى أيِّ إنسانٍ ... ولكن لم يَكَد يَصِل إلى باب الفيلا حتى تذكَّر أنه بدلًا من الإسراع إلى منزل «مُحِب» ففي إمكانه الاتصال به تليفونيًّا لعله يستطيع أن يُنبِّهَه إلى خطورة الموقف ... وهكذا عاد يصعد السلالم جريًا مرة أخرى، ثم دخل غرفتَه وأمسك سمَّاعة التليفون، وأخذ يُنصت في انتظار صوت الحرارة عندما تدبُّ في جهاز التليفون ولكن كأنما القدَر كان يُعاكسه ... كان التليفون صامتًا ... وأخذ «تختخ» يدقُّ على الجهاز لعل الحرارة تَدُبُّ فيه ... ولكنه ظل كالجثة الهامدة ...

أحسَّ «تختخ» أن رأسه يكاد ينفجر، وكأنه قد ابتلع القلم القنبلة، إنه عاجزٌ تمامًا عن التصرُّف ولكن الحرارة دبَّت في التليفون فجأةً، فأخذ يُدير الأرقام بأصابعَ مرتعشةٍ وهو في انتظار النبأ المؤلم ... ولكن عندما دقَّ جرس التليفون في الطرف الآخر وسمع صوتَ والدةِ «مُحِب» وهي تردُّ أحسَّ ببعض الراحة ... فقد كانت تتحدث بطريقة طبيعية.

قال «تختخ»: أنا «توفيق» ... هل «مُحِب» موجود؟

ردَّت السيدة: لا يا «توفيق» ... لقد خرج منذ لحظات!

تختخ: وحده؟

الوالدة: نعم ... لقد خرجت «نوسة» ... مع «عاطف» و«لوزة» قبله ... وبقيَ هو فترة ثم خرج وحده.

تختخ: ألم يَقُل أين سيذهب؟

الوالدة: لا.

تختخ: هل كان معه القلم؟

مرَّت لحظاتُ صمتٍ ... وأدرك «تختخ» أنه أخطأ بهذا السؤال ... فقد جاءه الردُّ ساخرًا: أيُّ قلمٍ تقصد يا «توفيق»؟ ليس عندي أيةُ فكرةٍ عن الأقلام التي يستخدمها «مُحِب»، وهل يخرج بها أو يتركها!

قال «تختخ»: آسف جدًّا يا عمتي ... آسف جدًّا!

قالت السيدة وهي تتنهَّد: لا بأس يا بُنيَّ ... لا بأس!

ووضع «تختخ» السمَّاعة وقد غمرَه عرقُ الخجل ... لقد أحسَّ ببعض الراحة ... ولكن القنبلة إذا لم تكن قد انفجرت حتى الآن فمن الممكن جدًّا أن تنفجر في أي لحظةٍ ... فهل القلم مع «مُحِب» أم تركه في منزله ... كان عليه أن يتأكَّد.

أسرع ينزل السلالم مرة أخرى كالمجنون، وقفز إلى دراجته، ثم أطلق لها العنان في طريقه إلى منزل «مُحِب» … كانت الأفكار تزدحم في رأسه فلم يسبق له من قبل أن مرَّ بمثل هذه التجربة العجيبة … مغامرةٌ تأتي حتى عنده … ثم تتطور تطوراتٍ سريعة … فهناك رصاصٌ صامتٌ … وقنابل … وتهديد … وإعلانات صحف … وأشياء متداخلة … وعناوين في المعادي بعضها معقول … وبعضها غير معقول … أشياء مدهشةٌ … والمفتش «سامي» غير موجودٍ ليطلب منه العون في هذه الموضوعات الخطرة … والشاويش «علي» غير متعاونٍ على الإطلاق … وظل يجري دون أن يلفت يمنةً أو يسرةً … ودون أن يرى أن هناك سيارة تتبعه.

وصل «تختخ» إلى منزل «مُحِب»، ونزل لاهثَ الأنفاس وأخذ يدقُّ الجرس حتى فتح له البابَ «فتح الله» الشَّغال عند أسرة «مُحِب»، فقال له «تختخ»: جئتُ آخُذ شيئًا من غرفة «مُحِب».

كان «فتح الله» يعرف علاقة «تختخ» و«مُحِب» فلم يتردَّد أن فتَح له الباب وأشار له بالدخول.

أسرع «تختخ» إلى غرفة «مُحِب» وفتح الباب ودخل …

كانت غرفةً جميلة تهتم «نوسة» دائمًا بتزيينها … وأغلق «تختخ» الباب خلفه وألقى نظرةً شاملة على المكان … ولكنه لم يرَ القلم القنبلة … فأسرع إلى مكتب «مُحِب» وأخذ يفتح الأدراج بسرعةٍ ولكن القلم لم يكن موجودًا … فتح الدولاب وأخذ يبحث في كل ركنٍ ولكن القلم ليس له أثر.

وقف «تختخ» وسط الغرفة كالمذهول … ماذا يفعل الآن … أين ذهب «مُحِب» وأين القلم … وفي هذه اللحظة سَمِع بعضَ الأصوات في الحديقة!

أين «مُحِب»؟

أسرعَ «تختخ» إلى النافذة ونظرَ من خلالها إلى الحديقة … كان «عاطف» و«نوسة» و«لوزة» يتحدثون ولم يكن «مُحِب» معهم فصاح فيهم: أين «مُحِب»؟ نظروا إليه في دهشةٍ … لم يكن من المتوقع مطلقًا أن يجدوه في هذه الغرفة في هذه الساعة … وقالت «نوسة»: لقد خرج قبل أن أخرج بقليل.

تختخ: وأين ذهب؟

نوسة: لا أدري … كان معه القلم العجيب الذي عثر عليه. وكان يستمع إليه كأنه يستمع إلى راديو!

صمت «تختخ» كأنما أُصيب بطلقة رصاص … وفكَّر أن الصوت الذي كان يسمعه «مُحِب» من القلم ليس صوتَ راديو … ولكنه صوت القنبلة؛ فالقنابل الزمنية تُصدر صوتًا منتظمًا كصوت الساعة.

وصاح «تختخ»: ألم يَقُل لك شيئًا؟

نوسة: لا … ولكنه كان يبدو مهتمًّا كأنما عثَر على شيءٍ خطيرٍ.

تختخ: طبعًا … خطيرٌ جدًّا … لقد عثر على قنبلة!

نوسة: قنبلة؟!

أشار لهم «تختخ» أن ينتظروه، وغادر النافذة ونزل مُسرعًا حتى وصل إلى الحديقة وانضمَّ إلى المغامرين … وقال «عاطف»: ما هي الحكاية … تقول إن «مُحِب» عثر على قنبلةٍ؟!

قال «تختخ» وهو يجلس مُنهارًا على أحد الكراسي: نعم … إن القلم الذي عثرتُ عليه أمس ليس إلا قنبلة … وصاحبه عرض عليَّ أن أُعطيَه له مقابل مبلغ كبير … من المال … أو حتى أُلقيَ به في النيل … ولكن المشكلة أنه مع «مُحِب» ولا أدري أين ذهب «مُحِب»؟

ساد الصمت بعد هذه الجملة ... وأدرك المغامرون لماذا كان «تختخ» في غرفة «مُحِب» في هذه الساعة ... ولماذا يبدو منزعجًا!

قالت «لوزة»: على كل حال ... ليس في إمكاننا عملُ شيءٍ الآن ... و«مُحِب» على كل حالٍ ليس ساذجًا ... ومن المؤكد أنه يستطيع التفرقة بين صوت القنبلة وصوت الراديو، أو أي صوتٍ آخر ... لقد قرأ الكثير عن أنواع القنابل الخداعية التي تبدو بريئة المظهر!

تختخ: وماذا فعلتم أنتم؟

ردَّ «عاطف»: قُمْنا بالبحث عن العنوانَين اللَّذَين عثَرَت عليهما «نوسة» في الإعلانات المبوَّبة، وأحد الإعلانَين كما تعلم عن فيلا للبيع، وقد ذهبنا إلى هناك وعثرنا على الفيلا فعلًا، وليس في هذا العنوان ما يُريب.

تختخ: والعنوان الآخر؟

عاطف: عنوانٌ زائف، الشارع رقم ٣٣ موجودٌ فعلًا، لكن رقم ١١٠٠ غير موجود ولا أحد هناك يسمع عنه.

تختخ: طبعًا ... ولكن ماذا كان يعني هذا العنوان إذن؟

لوزة: ربما ليست له علاقة بالمغامرة كلها ... ربما كانت الورقة التي في جَيب الرجل مجردَ قصاصة ورق وُجدت بالمصادفة ... وأنه لم يكلمك عنها ... ولم يطلبها كما طلب القلم!

بينما كان هذا الحوار يدور بين المغامرين الأربعة ... كان «مُحِب» يقوم بمغامرة مثيرة. أساسها الأرقام التي وُجِدت في الورقة ... هذه الورقة التي كانت «لوزة» تظنُّ أنها وُجِدت بالمصادفة لقد كانت ورقةً في غاية الأهمية ... فعندما تسلَّم «مُحِب» القلم من «تختخ» وعاد به إلى البيت أخذ يفحصه بدقةٍ ... كان من الواضح أنه أثقلُ من القلم العادي ... وأن ثمةَ أشياء غريبة فيه «شرائح زجاجية من الأمام»، وظل «مُحِب» يفحص القلم ويحاول فَهْمَ الأرقام ... واللمبات الصغيرة جدًّا المُعلَّقة فيه ... وبعد الغَداء أحسَّ أن رأسَه تُؤلِمه فلم يخرج مع «لوزة» و«نوسة» و«عاطف» للبحث عن الفيلا المعروضة للبيع ولا عن الرقم ٣٣ و١١٠٠. وهكذا ظل متمددًا في الفراش بعد أن تناول قرصَين من الأسبرين ... وعندما استيقظ في المساء كانت الشمس قد غَرُبت ... وأحسَّ بأنه أصبح على ما يُرام ... وبعد أن اغتسل عاد يُمسك القلم ويفحصه ... وفجأة سمع صوتًا يصدُر منه ... صوتًا متقطِّعًا كضربات بالقلم الرصاص على قطعة من الخشب ... ثم صُفَّارة متقطعة ... وأحسَّ «مُحِب»

بانفعال شديد، قد عرَف على الفور أن القلم ليس إلا جهاز إرسالٍ واستقبال من نوع نادر ... وأخذ يحاول فكَّ رموز الشفرة التي يسمعها «تك. تاك. تك. تك»، ولاحظ أنه عندما يُدير الجهاز إلى اتجاهٍ معيَّن ... فإن صوت الصفَّارة يتزايد ... والصوت المتقطع يقلُّ ... وأخذ «مُحِب» يحوِّل الجهاز إلى اتجاهاتٍ مختلفة ... حتى وجده يتزايد في اتجاه الشرق ... فنزل إلى الحديقة، وإذا بالصوت يتزايد تدريجيًّا ... وهكذا خرج من الحديقة إلى الشارع وهو يضع القلم في جيبه كأي قلمٍ ... وفي نفس الوقت يسمع الصفير المتقطع الذي يصدر منه، ويقوده عبر الشوارع من ارتفاع الصوت حتى وجد نفسه قريبًا من منزل «تختخ» ثم زاد الصفير في اتجاه شارعٍ جانبيٍّ صغيرٍ ... واتجه «مُحِب» مع الصفير المتقطع حتى وجد نفسه أمام فيلا صغيرة في نهاية الشارع الجانبي ... كانت فيلا مهجورةً ... مُظلمة.

كان الصفير الآن يبلغ أقصى درجاته ... وعلى غطاء القلم في الجزء المعدني منه، لمعَت لمبة صغيرة حمراء أكَّدت أن الجهاز قريبٌ جدًّا من مصدر الإرسال، واقترب «مُحِب» من الفيلا الصغيرة ... ثم توقَّف خارجها وأخذ ينظر إلى اللمبة الحمراء ... وهي تتوهج وتنطفئ ... والصوت المتقطع وقد ازدادت ضرباتُه. وتأكَّد «مُحِب» أن الفيلا الصغيرة هي مصدر الإرسال، ودهش كيف يمكن أن يوجد جهاز إرسال في هذا المكان.

دخل «مُحِب» حديقة الفيلا ... وكان الظلام مُخيِّمًا ... والصمت يلفُّ المكان، وليس هناك بارقة ضوءٍ ... كان كل شيءٍ يؤكِّد أن الفيلا مهجورة تمامًا، فكيف يمكن أن يكون بها جهاز إرسال؟ ومَن الذي يعمل عليه؟ ولأي غرضٍ؟!

اجتاز «مُحِب» حديقة الفيلا، وأحنَى قامته، ومشى بين الأشجار والأعشاب الكثيفة ...

كانت الحديقة مهملةً لا أثرَ للعناية بها ... فقد نمَت فيها كلُّ أنواع الأعشاب دون أن يُشذِّبَها أحدٌ فتكاثفَت حتى أصبحت مثلَ الغابة ... وأخذَت الفيران والحشرات تقفز هنا وهناك.

وفجأةً وجد «مُحِب» فأرًا ضخمًا يصطدم بقدمه ... وكان ينفر من الفيران فأحسَّ بخوفٍ مفاجئٍ وسقط على الأرض ... ووقع منه جهازُ اللاسلكي بين الأعشاب الكثيفة. عندما استعاد «مُحِب» توازنَه توقَّف قليلًا يُنصت، ولكن لم يكن هناك أيُّ صوتٍ فأحسَّ ببعض الاطمئنان أن أحدًا لم يرَه أو يشعر به ... وبدأ يبحث عن جهاز اللاسلكى الصغير ... وفي البداية كان يظن أنه سيعثر عليه سريعًا ... ولكن الجهاز اختفى بين الأعشاب الكثيفة ولم يعثر له على أثرٍ ... وأحسَّ بضيق شديد ... وأخذ يُضاعف جهدَه في البحث عن الجهاز ولكنه اختفى تمامًا كما تختفي إبرةٌ في كومة من القشِّ.

لم يتصور «مُجِب» أن ينتهيَ كلُّ شيءٍ بهذه السرعة ... وقرَّر أن يدخل الفيلا مهما كلَّفه الأمر، وأن يرى لماذا كان جهاز اللاسلكي يقوده إلى هذا المكان بالذات، واقترب من إحدى النوافذ، ووضع أُذُنَه عليها يستمع لعله يسمع أيَّ صوتٍ يدلُّه على ما يحدث داخل الفيلا، ولكن لم يكن هناك صوتٌ على الإطلاق ... كانت الفيلا صامتةً صمْتَ القبور.

تلفَّت «مُجِب» حوله، لم يكن هناك أيُّ شخصٍ قريب ... وأخذ يجذب المصراع الخشبي للنافذة محاولًا فتْحَه ... ولكن المصراع كان قويًّا على غير ما توقَّع من منظره البالي ...

وأحسَّ «مُجِب» بالغضب ... وأخذ يحاول باذلًا أقصى قوته ... وبدأ مصراع النافذة ينجذب إلى الخارج ... ولكن في هذه اللحظة أحسَّ «مُجِب» بخطواتٍ خلفه ... والتفتَ سريعًا ... ولكن قبل أن يرى مَن القادم أو يعرف ما يحدث ... كانت ضربةٌ قوية قد هبطَت على رأسه ورأى آلاف النجوم تبرُز أمام عينَيه ... ثم هبط ظلامٌ كثيف وسقط على الأرض فاقدَ الوعي.

لم يَطُلْ إغماءُ «مُجِب» ... فقد استيقظ على ضوءٍ قويٍّ يكاد يُعمي عينَيه واضطره إلى وضع يده على وجهه لحظات ... ثم بدأ يواجه ما أمامه ... وجد نفسه مُلقًى على الأرض في غرفة صغيرة بلا نوافذ ... كان واضحًا من ماء الرشح الذي يُغطِّي جدرانها أنها تحت الأرض ... وكانت اللمبة ذات النور القوي التي أغشَتْ عينَيه مُعلَّقة في منتصف الغرفة ... ولاحظَ على الفور أنه وحده ... وأن باب الغرفة مغلقٌ ... وهناك شُرَّاعة زجاجية أعلى الباب.

وضع يدَه على رأسه حيث كان يشعر بألمٍ شديد ... ثم أدار رقبتَه يمنةً ويسرةً ليتأكد أنها ما زالت في مكانها ... وحرَّك أعضاء جسمه كلها ... وعندما اطمأنَّ إلى عدم وجود كسورٍ بجسمه أخذ يزحف حتى اقترب من الباب ... وسمع صوتَ دقاتٍ تأتي من بعيدٍ ... دقَّاتٍ تُشبه الدقات التي كانت تصدُر من جهاز اللاسلكي الصغير، وإن كانت أقوى وأوضح.

ظل «مُجِب» يستمع إلى الدقَّات لحظات، ثم مدَّ يدَه، وأخذ يحاول تحريكَ النافذة الزجاجية حتى ينظر إلى ما يحدث خارج الغرفة ... ولم يجد صعوبةً في تحريك الزجاج جانبًا ثم وقف على أطراف أصابعه ونظر، كان أمامه دهليزٌ طويل مُظلم تمامًا ... لا يُضيئه سوى شعاع من الضوء يخرج من غرفة جانبية ... وكان في نهاية الدهليز بابٌ يلمع على ضوء الشعاع البعيد ... ورجَّح «مُجِب» أنه بابٌ من الحديد ... وقبل أن يسترسل في فحصه، انقطع شعاعُ الضوء بشبح ضخم يخرج من الغرفة المضاءة، وأغلق «مُجِب» زجاجَ النافذة بهدوءٍ ثم أسرع إلى حيث كان مُلقًى على الأرض ... فاستلقى مرة أخرى. وأغمض عينَيه.

سَمِع المفتاح يدور في قُفْل الباب ثم سَمِع خطواتِ رجلٍ تقترب منه ... ثم أحسَّ بالرجل ينحني عليه ويُقلِّبه، وفجأةً نزل على وجهه سيلٌ من الماء البارد وسمع الرجل يقول: استيقظ!

لاحظ «مُحِب» أن لهجة الرجل ليست مصريةً ... وتظاهر بأنه يتألَّم ثم وضع يدَيه على عينَيه لحظات، ثم فتح عينَيه ونظر إلى الرجل، كان طويلَ القامة، شعرُه نصف أشيب ... له شاربٌ غليظ، وعلى وجهه آثار القسوة والدهاء.

قال الرجل: لماذا كنت تحاول دخول الفيلا؟

«زنجر» يعود

أخذ «مُحِب» يفكِّر سريعًا في إجابة مقنعة ... وكان واضحًا أن هذا الرجل ليس من السهل الضحك عليه أو تضليله ... خاصةً وأن «مُحِب» ضُبط متلبِّسًا بمحاولة فتح نافذة الفيلا، وهكذا ساد الصمتُ لحظاتٍ قبل أن يُجيبَ «مُحِب» قائلًا: إنني كنت أبحث عن مأوًى!

الرجل: لا يبدو عليك أنك متشردٌ أو شحَّاذٌ ... إنك تلبس ملابس جيدة ... فلا بدَّ أن هناك سببًا آخر لمحاولتك فتح الفيلا.

لم يُجب «مُحِب» فعاد الرجل يقول: إن عندنا ألف طريقة وطريقة لحملك على الكلام، ومن الأفضل لك أن تقول الحقيقة.

وفي هذه الأثناء ... كان المغامرون «تختخ» و«نوسة» و«لوزة» و«عاطف» قد عقدوا اجتماعًا عاجلًا لبحث الأمر ... كانوا يتصوَّرون أن «مُحِب» مُعرَّض للخطر ... وقد كان ذلك صحيحًا ... وليس بسبب القنبلة كما تصوَّروا ... ولكن لأسباب أخرى.

وفجأة قال «عاطف»: لقد نسينا «زنجر» لماذا لا نستخدمه؟

لوزة: في أي شيءٍ.

عاطف: في البحث عن «مُحِب»، إن «زنجر» يعرف روائحنا جميعًا ... ومن المؤكد أنه يستطيع متابعة آثار «مُحِب» أفضل منَّا جميعًا!

قال «تختخ»: معك حقٌّ ... ومن الممكن أن تكون البداية قُرب منزلنا، فقد كان الرجل الذي يحمل القنبلة يدور ويلف هناك ... ولا بدَّ أن لهذا سببًا ولكننا لا نعرفه!

نوسة: بمناسبة الحديث عن صاحب القنبلة ... لماذا لا تتصل به تليفونيًّا مرة أخرى ربما أمكننا أن نحصل على معلومات جديدة.

وأسرعت «نوسة» بإحضار التليفون، وأدار «تختخ» الأرقام ... واستمع ... كان الجرس يدقُّ في الناحية الأخرى ... ولكن دون إجابةٍ ... ووضع «تختخ» السَّماعة وقال: لو كان المفتش «سامي» هنا، لاستطعنا تَتبُّعَ رقم التليفون وعرفنا مكانه ... ولكن المهم الآن هو إنقاذ «مُحِب» إذا كانت القنبلة لم تنفجر بعد.

ونظر المغامرون لبعضهم البعض في وجوم ... فمن الممكن فعلًا أن يكون «مُحِب» في هذه اللحظات قد غادرهم إلى الأبد.

وقف «تختخ» قائلًا: سأذهب لإحضار «زنجر» وأرجو أن يتمكَّن من السير بعد إصابته.

عاطف: هل آتي معك؟

تختخ: بالطبع، وستبقى «نوسة» و«لوزة» معًا وسنتصل بهما بين فترةٍ وأخرى؛ فقد يعود «مُحِب» وينتهي هذا الموقف العصيب.

وانطلق «تختخ» و«عاطف» مُسرعَين إلى منزل «تختخ» وعندما اجتازَا باب الحديقة سمعَا همهمةً خافتةً كأنما كان «زنجر» يُعلن عن يقظته.

واتجهَا على الفور إلى الكُشك الصغير الذي ينام فيه «زنجر» فاستقبلهما بنباحٍ خفيفٍ مُرحِّبًا بهما.

وانحنَى «تختخ» على «زنجر» وأخذ يُربِّت على رأسه وهو يقول: كيف حالك أيها الكلب الشجاع؟ وأخذ الكلب الأسود يضرب الأرض بذيله كأنه يقول إنه على ما يُرام.

عاد «تختخ» يقول له: إن أمامنا عملًا هامًّا فهل أنت على استعدادٍ؟!

عاد «زنجر» يدقُّ الأرض بذيله مؤكِّدًا أنه على استعدادٍ.

قال «تختخ»: إننا سنبحث عن «مُحِب» يا «زنجر» ... «مُحِب» ... «مُحِب» ... «مُحِب» ...

وأخذ يُكرر كلمة «مُحِب» بضع مراتٍ، فنبح «زنجر» معترضًا على هذا التكرار لأنه كلبُ مغامراتٍ شاركهم عشرات المغامرات وقد فَهِم على الفور أن المطلوب هو البحث عن «مُحِب»، ومدَّ «تختخ» يدَه يتحسَّس آثار الجرح في ساق «زنجر»، ولكن «زنجر» رفض هذه العواطف في وقت العمل وانطلق من الكُشك مُسرعًا إلى الحديقة وفي أثرِه انطلق كلٌّ من «تختخ» و«عاطف»، وسرعان ما كان الثلاثة في الشارع.

نظر «تختخ» إلى ساعته ثم قال الساعة الآن العاشرة ولا بد أن نعودَ «بمُحِب» قبل منتصف الليل حتى لا يقلقَ عليه والداه.

أسرع «زنجر» إلى المكان الذي دار فيه الصراع بينه وبين الرجل وأخذ يتشمَّم الأرض في دائرة واسعة، فقال «تختخ» موجِّهًا حديثَه إلى «عاطف»:

يبدو أن «زنجر» يظن أننا نبحث عن الرجل المجهول وليس عن «مُحِب». ردَّ «عاطف»: مَن يدري ما الذي يدور في مخِّ «زنجر» وعلى كل حالٍ ربما يكون «مُحِب» قد مرَّ في هذا المكان.

لم يكَد «عاطف» ينتهي من جملته حتى ظهر الشاويش على درَّاجته واقترب من الصديقَين. والشيء الغريب أن «زنجر» لم يهتمَّ بالشاويش ولم يحاول معابثته كالمعتاد بل ظل ملصقًا أنفَه بالأرض يتشمَّمها ويجري هنا وهناك.

قال الشاويش: ماذا تفعلان هنا؟

ردَّ «عاطف»: هل هناك مانعٌ أن نوجد هنا أو في أيِّ مكانٍ آخر؟

بدَت علاماتُ الغضب على وجهِ الشاويش وانفجر قائلًا: إنني المسئول عن الأمن في هذه المنطقة ولا بد أن أعرف ماذا تفعلان.

قال «تختخ»: هل تساعدنا إذا قلنا لك ماذا نفعل؟

لم يردَّ الشاويش. فقال «تختخ» ببساطةٍ: إننا نبحث عن قنبلة.

وأضاف «عاطف»: وهذه القنبلة في يدِ ولدٍ وقد تنفجر في أي لحظةٍ.

ازداد غضبُ الشاويش وصاح: قنبلة، أيُّ قنبلة، هل هي لعبة؟

ردَّ «تختخ» بهدوءٍ: أُقسم لك يا شاويش إنها قنبلة فعلًا.

قال الشاويش مندهشًا: ومع مَن؟ ردَّ «تختخ»: مع «مُحِب» …

قال الشاويش: «مُحِب»، لقد قابلتُه منذ ساعتين يسير في نفس هذا الطريق ولم يكن يحمل أيَّ قنبلة بل كان يضع على أُذُنِه شيئًا مثل الراديو الصغير وكان يسير مُسرعًا حتى إنه لم يرَني ولم يسمعني وأنا أُناديه فما هي حكاية القنبلة إذن.

نظر «تختخ» حوله ثم قال: نشكرك يا شاويش لقد ساعدتنا مساعدةً هامة، وللأسف ليس عندنا وقتٌ للحديث معك فقد سبقَنا «زنجر» ولا بد أن نلحقَ به سريعًا.

وأسرع الصديقان خلف «زنجر» ووقف الشاويش مكانه يُبحلق فيهما حتى اختفيَا في ظلام الشارع.

لحق «تختخ» و«عاطف» ﺑ «زنجر» ووجداه يسيرُ بهمةٍ ونشاطٍ وقد رفع أنفه إلى فوق كأنه جهاز رادار يلتقط إشاراتٍ قادمةً من بعيد وسرعان ما وصل الثلاثة إلى الشارع المهجور الذي تقع في نهايته الفيلا الغامضة. عندما اقترب «زنجر» من الفيلا أخذ ينبح

نباحًا خافتًا متوتِّرًا، فأدرك «تختخ» أنهم يقتربون من الهدف، فسرعان ما وجدوا أنفسهم أمام سور الفيلا، فأسرع «تختخ» ووضع يدَه على رأس «زنجر» قائلًا: صبرًا صبرًا أيها المغامر الذكي حتى لا يعرفَ أحدٌ اقترابَنا.

وأشار «تختخ» إلى الفيلا، وقال لـ «عاطف» هامسًا أعتقد أن خلف هذه الجدران الصامتة شيئًا مُريبًا يحدث، فانتظرني أنت و«زنجر» في الحديقة، وسأحاول دخولَ الفيلا وحدي. فقبع «عاطف» و«زنجر» في الظلام بين الحشائش الطويلة وتقدَّم «تختخ» محاذرًا إلى إحدى نوافذ الفيلا، وللمصادفة الغريبة كانت هي نفس النافذة التي حاول «مُحِب» أن يدخل منها إلى الفيلا منذ ساعتين، ووضع «تختخ» أُذُنَه على النافذة وأخذ يستمع.

وفي هذه اللحظة فوجئ بهمهمة بين قدمَيه ووجد «زنجر» يضربه بأنفه في ساقه فانحنى عليه غاضبًا وقال بصوت هامس: ألم أَقُل لك انتظرني؟

ولكنه لاحظَ أن «زنجر» يرفع فمَه إليه فأخرج بطَّاريته الصغيرة من جيبه وعلى شريط الضوء الرفيع الذي انطلق منها استطاع أن يعرف ما بين أسنان «زنجر» البيضاء كان القلم القنبلة.

أحس «تختخ» بالرعب لحظات شلَّت تفكيرَه ولكنه في النهاية مدَّ يدًا مرتعشة والتقط القلم من بين أسنان «زنجر» وكم كان مدهشًا أن يرى القلم العجيب يُصدِر ضوءًا خفيفًا متقطِّعًا. وعندما قرَّبه من أُذُنه سَمِع صوتَ الدقَّات وفَهِم على الفور أن هذا القلم لم يكن قنبلةً أبدًا ولكنه جهازٌ لا سلكي صغير، وأحسَّ بفرحة طاغية، فهذا يعني أن «مُحِب» ما زال حيًّا ولم تنفجر فيه القنبلة كما كان يتصور ويخشى.

أسرع «تختخ» إلى «عاطف» وقال له هامسًا: «عاطف»، إنَّ كلَّ شيءٍ على ما يُرام، و«مُحِب» ما زال حيًّا وهذا هو القلم الذي كنَّا نبحث عنه.

قال «عاطف»: وماذا في نيتك أن تفعل؟

ردَّ «تختخ»: خُذ هذا القلم معك إنه جهاز لاسلكي، وأعتقد أن في هذه الفيلا محطةَ إرسال وسأدخل الآن فإذا تغيَّبت أكثر من ساعة فعليك أن تتَّصل بأجهزة الأمن سواء وجدتَ المفتش «سامي» أو لم تجده لاقتحام الفيلا، فإنني أتوقع أن يكون خلفَ جدرانها الصامتة شيءٌ ضد القانون.

وعاد «تختخ» مرةً أخرى عبر الحديقة المظلمة وهو يفكِّر كيف وقع الجهاز من «مُحِب» في هذا المكان، وتوقَّع أن يجد «مُحِب» خلف جدران الفيلا الساكنة … وقف «تختخ» أمام النافذة المغلقة، وأخرج من جيبه كيسًا صغيرًا من البلاستيك يحتفظ فيه

بأدواته الدقيقة، أخذ منها أداة صغيرة وعالج النافذة المغلقة، وسرعان ما صدرت منها تكَّة صغيرة وانفتحت النافذة واجتازها «تختخ» في حذرٍ، وسرعان ما كان داخل غرفةٍ مظلمة يُرهف أذنَيه في انتباه شديد.

محطة الإرسال ...

وقف «تختخ» في الظلام لحظات ساكنًا، ثمَّ مدَّ يدَه فأغلق النافذة ... ثم خطَا إلى الأمام، وهو يُضيء طريقَه بخيط رفيع من النور أطلقه من بطاريته ... كانت الغرفة التي يسير فيها واسعةً ... تُغطِّي جُدرانَها رفوفُ الكتب. وفي جانب منها مكتبٌ ضخم قد تناثرَت عليه أوراقٌ وملفات مفتوحة ... ولاحظَ «تختخ» أن التراب يُغطِّي المكان بشكلٍ مُلفتٍ للنظر ... وكأنه لم يُستخدَم منذ فترةٍ طويلة.

وصل إلى الباب فوقف لحظاتٍ وأخذ يستمع، ولكن السكون كان شاملًا ... فمدَّ يدَه وفتح الباب وخطَا إلى الخارج ... توقَّف لحظات ثم أطلق شعاعَ الضوء الرفيع تدريجيًّا في الدهليز ... ولاحظ مرة أخرى أن الأتربة تُغطِّي المقاعد واللوحات وكل شيء ... وسار «تختخ» متمهلًا يستمع إلى كل صوت ... ولكنه لم يسمع شيئًا على الإطلاق ... وظل يسير في الدهليز حتى نهايته ... ومرة أخرى أخذ يستمع ... ولكن كل شيءٍ ظل ساكنًا وهادئًا حتى أحسَّ «تختخ» بشيء من الريبة يغزو نفسه ... فهذا الصمت مريبٌ جدًّا وقد ينتهي فجأة بحادثٍ أو بشيءٍ غير متوقعٍ. وأخذت أعصابه تتوتَّر ... وتذكَّر الرصاصة الصامتة التي أصابت «زنجر» وأحسَّ أنه من الممكن أن تُطلَق عليه رصاصةٌ مماثلة في أي وقتٍ ...

ولكن لا شيء حدث وأخذ «تختخ» ينحرف بشكل أسرع ... أخذ يفتح كلَّ باب يراه وينظر داخله ... بدأ يحسُّ بإحساس المغامر الذي لا يُخطئ أن الوقت تزداد أهميتُه وقد صدقَ إحساسُه ... فعندما فتح إحدى الغُرف وأطلق شعاع الضوء الرفيع سقط الشعاع على ساقٍ يعرفها جيدًا ... ومرَّر خيط الضوء مع بقية الساقين، ولم يَعُد هناك أدنى شكٍّ أن هذا الجسد المُلقى على الأرض مُقيَّدًا هو «مُحِب» ... وأحسَّ أن قلبه سيقف ... فقد ظنَّ أن صديقه قد مات.

أسرع «تختخ» إلى صديقه، ولم يَعُد يهمُّه ماذا يحدث له ... وضع البطارية على الأرض وانحنى عليه كان مقيدًا ببراعة ... ومُكمَّمًا ... ولكن من المُدهش أن الذين كمَّموه وقيَّدوه لم يكتفوا بذلك، بل خدَّروه أيضًا ... فعندما حاول «تختخ» الحديث إليه لم يردَّ ... وأخذ «تختخ» يُقلِّبه يمينًا ويسارًا ويناديه دون أن يحصل منه على كلمة واحدة ... وعندما قرَّب أنفَه من أنفاس «مُحِب» البطيئة شمَّ على الفور رائحةً غريبة أدرك أنها أثر المُخدر الذي أُعطي له.

فكَّ وثاقَ صديقه بسرعة ... وأخذ يُدلِّك صدرَه ورقبته كي يُفيقَ ... ولكن بعد محاولات أدرك أن لا فائدة، وأخذ ذهنه يعمل بسرعة ... المهم الآن أن «مُحِب» حيٌّ لم يَمُت ... فهل يكتفي من هذه المغامرة كلها بإنقاذ صديقه أم أن عليه أن يُتابع هذه الأحداث التي مرَّت وانتهت به إلى هذه الفيلا الساكنة المظلمة!

سؤال ... أتَت الإجابة عليه سريعًا ... فقد قفز «تختخ» مسرعًا خارجًا من الغرفة، وأخذ ينتقل بين بقية الغُرَف ولمَّا لم يكن هناك أحدٌ ... قرَّر يائسًا أن يعود إلى حيث كان «مُحِب». وبينما هو يخطو في الدهليز أحسَّ أن الأرض تحت قدمَيه ليست ثابتةً تمامًا ... كأنها تهتز قليلًا ... وسلَّط شعاع بطاريته إلى ما تحت قدمَيه ونظر ... ولاحظ على الفور أن الخشب يتباعد في أجزاء على شكل مربع ...

انحنى «تختخ» على هذا المربع وأخذ ينظر ... كان واضحًا أنه بابٌ سريٌّ أُخفيَ بمهارة في الدهليز ... ووضع «تختخ» أُذُنَه على الباب وأخذ يستمع ... وخُيِّل إليه أنه يسمع صوتًا بعيدًا كأنه صوت موتور يدور ... وسرعان ما أخرج أدواته الدقيقة وأخذ يتحسَّس طرفَ الباب حتى استطاع أن يدفعَه من مكانه بهدوء وحذر ونظر خلاله ... لم يكن هناك سوى الظلام. ولكن، في جانب من الأرضية كان هناك طرفُ سُلَّم من الحديد الرفيع ... وسمع «تختخ» الصوت الذي سمعه من قبل أكثر ارتفاعًا.

توقَّف لحظاتٍ يفكِّر ... كان واضحًا أن نزوله السُّلَّم قد يؤدي إلى مغامرة رهيبة ... ولكن هل هذه أول مرة يُلقي بنفسه فيها في أحضان المغامرة؟ لم يفكِّر سوى ثوانٍ قليلة ... ثم وضع أدواته في جيبه ... ومدَّ ساقَيه وبدأ ينزل السُّلَّم.

كان حديدُ السُّلَّم قديمًا ومتآكلًا ... وكان وزن «تختخ» الثقيل يُهدِّد بانهيار السُّلَّم في أية لحظة ... ولكنه ظلَّ مُصرًّا على النزول برغم إحساسه بأن السُّلَّم يهتز تحت ثِقَل جسمه ... حتى إذا اقترب السُّلَّم من نهايته كان صوت الموتور الذي سمعه قد أصبح واضحًا تمامًا

... وتأكَّد له أن ثمة سيارةً ضخمة تُدير محركاتها استعدادًا للانطلاق ودُهش أن توجد سيارة في هذا المكان ... وتحت هذا العمق من الأرض.

عندما انتهى السُّلَّم ونزل «تختخ» إلى الأرض توقَّف لحظات ... كان ثمة ضوءٌ ينفذ من خلال جدار من الصاج القديم، وعلى هذا الضوء استطاع «تختخ» أن يُحدِّد مكانه ... كان تحت الأرض بنحو سبعة أمتارٍ ... وعلى يساره جدارٌ أصمُّ من الأسمنت المسلح ... وعلى يمينه جدارٌ من الصاج ... وخلفه كانت آلات سيارة كبيرة تدور ... وأصوات أشخاص يتحدثون.

اقترب «تختخ» على أطراف أصابعه من الجدار الصاج كانت هناك ثقوبٌ كثيرة يمكنه أن ينظر منها فيرى ماذا يدور خلف الجدار، واقترب من أحد الثقوب ونظر محاذرًا فرأى على الضوء المنبثق من مجموعة من اللمبات الضخمة سيارةً كبيرةً تُشبه سيارةَ نقل الأثاث وقد كُتب على جوانبها بالخطِّ العريض «موبيليات الفرنساوي» بدمياط وأرقام التليفونات والسجل التجاري. وكان ثلاثة من الرجال منهمكين في شحن السيارة ببعض الأجهزة بينما كان رجلٌ رابع قد فتح غطاء مُحرك السيارة وأخذ يَرقبه بانتباه كأنما هناك احتمالٌ لخطر وشيك.

كانت الفكرة التي طرأَت على ذهن «تختخ» هو ماذا يفعل هؤلاء الرجال في هذا المكان؟ وما هي هذه الأجهزة؟ وما هي علاقة هؤلاء الرجال «بمُحِب» الذي كان مُلقًى على الأرض مُخدَّرًا في غرفة مظلمة؟ وهل لهؤلاء الرجال الأربعة علاقة بالرجل الذي أطلَق على «زنجر» الرصاص؟

دارَت هذه الأسئلة في ذهن «تختخ» دون أن يَصِل إلى إجابة واحدة ثم طرأ له سؤالٌ أهم من هذا كله ماذا يفعل الآن؟ وجاءته الإجابة بأسرع مما توقَّع فقد انتهى الرجال من شحن الأجهزة وأغلقوا باب السيارة الخلفي ووقفوا يتحدَّثون معًا. وبالرغم من صوت محرك السيارة فقد استطاع «تختخ» أن يستمع إلى بعض الكلمات، سمع ... السيارة الأخرى ... الولد ... المُخدَّر ... الشاطئ.

ثم انصرف اثنان منهم مُسرعَين واختفيَا، أما الاثنان الآخران فقد ركبَا سيارةَ نقل الأثاث فقفز أحدهما في مقعد القيادة وجلس الآخر بجواره. أدرك «تختخ» أن السيارة ستتحرك بعد قليلٍ. فخطَا خطواتٍ سريعةً أوصلَته إلى الجدار ثم انبطح على الأرض وأخذ يزحف حتى أصبح خلف السيارة تمامًا، وبسرعة استطاع أن يفتح القُفْل الذي كان مثبَّتًا في باب السيارة الخلفي وفتح الباب بهدوءٍ. وفي نفس اللحظة التي قفز فيها إلى داخل الصندوق الخشبي كانت السيارة قد تحرَّكت خارجةً من مكمنها العجيب تحت الأرض.

أخذ محرك السيارة يهدر بشدة وكان واضحًا أن السيارة تصعد مطلعًا في طريقها إلى الخارج. وفي هذه اللحظات بدأ «تختخ» يفكِّر ما الذي جعله يقوم بهذه المغامرة المحفوفة بالمخاطر فيدخل في جوف سيارة لا يعرف إلى أين تذهب. واستمرت السيارة تهدر صاعدةً لمدة خمس دقائق قبل أن يعود المحرك إلى صوته العادي ... وبهذا أدرك «تختخ» أن السيارة قد وصلت إلى الشارع فأسرع يفتح الباب الخلفي وينظر.

وعرَف على الفور أن السيارة تدور حول الفيلا وبعد ثوانٍ قليلةٍ ستمرُّ بالمكان الذي يقف فيه «عاطف» و«زنجر». وهكذا أخرج بطاريتَه واستعدَّ. وعندما أصبح قريبًا من مكان «عاطف» أضاء البطارية في اتجاه «عاطف» مباشرةً وأطلق الضوء ثلاث مرات، وعلى الفور سَمِع «زنجر» ينبح وأدرك أن رسالته الضوئية قد وصلت.

انطلقت السيارةُ مسرعةً في شوارع المعادي الهادئة، وأغلق «تختخ» على نفسه البابَ ثم أضاء بطاريته داخل السيارة وعلى ضوئها الرفيع الخفيف استطاع أن يرى أن هذا الصندوق الخشبي الكبير الذي يبدو كأنه مُعَدٌّ لنقل الأثاث ليس إلا محطة لا سلكية كاملة. وعلى الفور ربط «تختخ» بين هذه المحطة المتنقلة وبين جهاز اللاسلكي الصغير الذي عثر عليه تحت «زنجر» في الليلة السابقة.

وأدرك أنه وقَع بطريق المصادفة على شيء خطير ومثير؛ فقد يكشف عن نشاطٍ يُدَبَّر في الخفاء. وظلت السيارة تمضي مسرعةً، وغرق «تختخ» في تفكير عميق. وكان قد وجد مقعدًا في جانب السيارة جلس عليه وأخذ يُدير أشعةَ بطاريته في الأجهزة الغريبة المعقَّدة التي لم يرَ لها مثيلًا من قبل.

مضَت حوالي نصف ساعة والسيارة تقطع الطريق مسرعةً قبل أن يحدث فجأةً ما غيَّر مجرى الأحداث. فقد كان «تختخ» قد قرَّر أن يبقى في السيارة حتى تقف ثم يتَّصل بالمغامرين ليتصلوا بالأجهزة المختصَّة للحضور إلى مكان السيارة واكتشاف ماذا يدور فيها.

كان الذي حدث هو وقوع السيارة في مطبٍّ كبير أدَّى إلى اهتزازها اهتزازًا شديدًا أدَّى إلى فتحِ الباب الخلفي بشدةٍ فتوقَّفت السيارة. وقبل أن يُدرك «تختخ» ماذا حدث وأن يتصرف بسرعة وجد أحدَ الرجلين يقف عند الباب المفتوح وبيده كشافٌ قويٌّ وبيده الأخرى مسدسٌ ضخم موجَّه إلى قلب «تختخ» مباشرةً.

العميل السري

أخذ «تختخ» والرجل يُحملقان أحدهما في الآخر ... وبالتأكيد كان هذا اللقاء مفاجأةً لكليهما. قال الرجل: ماذا تفعل هنا؟ لم يردَّ «تختخ» فلم يكن عنده ما يقوله. وبعد لحظاتٍ من الصمت جاء الرجل الآخر وانضمَّ إلى زميله، وعندما شاهد «تختخ» قال في دهشة شديدة: ما هي حكاية هؤلاء الأولاد؟

صَعِد الرجل الذي يُمسك بالمسدس إلى «تختخ» قائلًا للآخر: ادخل بالسيارة في الرمال حتى نرى ماذا يمكن عمله مع هذا الولد. ثم أغلق البابَ وأصبح هو و«تختخ» وحيدَين في صندوق السيارة الضخم بين الأجهزة المعقَّدة.

وأخذت السيارة تتدحرج وهي تُغادر الطريق المرصوف إلى الصحراء الممتدة بين المعادي وحلوان، وبعد أن سارَت نحو خمسة كيلومترات توقَّفت، وسكَت صوتُ المحرِّك ... وأدرك «تختخ» أن ساعة الحساب معه قد حانَت، وأنه وقع في مأزقٍ خطير لا يدري كيف يمكن الخلاص منه ... وبعد لحظاتٍ من وقوف السيارة فتح الرجل الآخر الباب وصَعِد هو أيضًا إلى صندوق الأجهزة ومدَّ يدَه فأغلق الباب ثم أضاء مصباحًا قويًّا في سقف السيارة وهكذا أصبح «تختخ» مُحاصَرًا بين الرجلَين في صندوق السيارة المغلق.

قال الرجل ذو المسدس: اسمع يا بُنيَّ لا تُضيِّعْ وقتَنا ووقتَك وأَجِبْ عن أسئلتنا بصراحة لتُنقذَ حياتَك ...

لم يُجِبْ «تختخ» وأخذ ينظر إلى الرجل في جمودٍ وكأنه لم يسمع شيئًا. فقال الرجل الآخر: يبدو أنه عنيدٌ مثل زميله الذي خدَّرناه وتركناه في الفيلا خلفنا.

الأول: وسنُخدِّر هذا أيضًا.

الثاني: نُخدِّره أو نقتله كلاهما سواء ... فإذا لم يحضر العميلُ السرِّيُّ حتى الفجر فعلينا أن ننسفَ هذه السيارة ونلوذَ بالفرار عن طريق الشاطئ مع الرجُلَين الآخرَين.

الأول: في هذه الحالة من الأفضل أن نربطَ هذا الولد ونُكمِّمَه ثم نتركه ليُنسَف مع السيارة فلا يستطيعُ أحدٌ تفسيرَ لُغز السيارة ومَن فيها.

ساد الصمتُ بعد هذه الكلمات وجلس الرجلان وأخرجَا بعضَ الأطعمة المحفوظة وبعضَ عُلَب العصير وأخذَا يأكلان ... فأحسَّ «تختخ» وهو العاشق للطعام أن هذه أكبر عملية تعذيب مرَّ بها في حياته. ففكر أن يعترف بكل شيءٍ مقابل سندويتش من الجبنة الركفور وعلبة من العصير، ولكنه بدلًا من ذلك أغمض عينَه حتى لا يرى الطعامَ وهو يختفي في فمِ الرجُلَين. بعد لحظات انتهى الرجلان من طعامهما.

وقال أحدهما للآخر: علينا أن نقوم بتشغيل جهاز الإرسال؛ فقد يلتقط العميلُ السريُّ إشارتَنا هذه المرة ويحضر لمقابلتنا. وبدأ أحد الرجلين في تركيب بعض الأسلاك والأزرار، وبدأ «تختخ» يسمع الصفارة المتقطِّعة التي تصدر من جهاز الإرسال. وبدَا كلُّ شيءٍ يتضح في ذهن المغامر السمين، وبدأ يرتِّب الحوادث التي مرَّت به ترتيبًا منطقيًّا، كان واضحًا أن العميل السري هو الرجل الذي كان معه جهاز اللاسلكي الصغير وأنه كان يبحث عن محطة الإرسال بواسطة الإشارات التي تُرسلها ويستقبلها هو بجهازه الصغير.

وسَمِع أحدَ الرجلين يقول للآخر: لا تَنسَ ضبطَ الكيلوسيلك، إنه ٣٣ / ١١٠٠، وهكذا اتَّضح لـ «تختخ» سرُّ الإعلان الذي كان منشورًا بجريدة الأهرام عن تماثيل القرود الصينية التي كان يطلب صاحبها الاتصال برقم ٣٣ / ١١٠٠، فهذان الرقمان يُحدِّدان طول الموجة وسرعة الذبذبة في جهاز الإرسال.

لقد أصبح كلُّ شيءٍ واضحًا إذن، ولكن بعد فوات الأوان ... لقد كان العميل السري يحمل معلوماتٍ هامة إلى هؤلاء الرجال، وكان في طريقه إليهم مهتديًا بجهاز الاستقبال الصغير لولا سوءُ حظِّه الذي أوقعه بين أسنان «زنجر» في ليلة الأمس، وأغمض «تختخ» عينَيه وتمنَّى لو استطاع أن يُوصل هذه المعلومات إلى المفتش «سامي»، ولكنها كانت مجردَ أمنيةٍ من المستحيل تحقيقها. وعندما نظر إلى الرجلَين أدرك أنه لا يستطيع التغلُّب عليهما مطلقًا خاصة وأن أحدهما يحمل مُسدسًا رهيبًا.

فتح «تختخ» عينَيه ونظر إلى ساعته ... كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل، إذن بقيَ على طلوع الفجر أربعُ ساعات هي المدة الباقية له في الحياة أيضًا، ولا يدري لماذا أحسَّ بنوعٍ من الاطمئنان وربما اللامبالاة بمصيره أمام الخطر حتى إنه أسلم عينَيه للرقاد.

لا يدري «تختخ» كم ساعة مضَت عليه وهو نائمٌ، لكنه فتح عينَيه على ألمٍ في ساقَيه واكتشف على الفور أن أحد الرجلَين يقوم بشدِّ وثاقه، ولم يقاوم فلم تكن هناك فائدة

من المقاومة، وسَمِع الرجل يسأله قائلًا: هذه فرصتك الأخيرة لتُنقذَ حياتك وسوف تُنسَف السيارة بعد ساعة تقريبًا ... لم يردَّ «تختخ» فلم يكن يعنيه ما يقوله، وهكذا أكمل الرجلُ شدَّ وثاقِه ووضع شريطًا لاصقًا على فمه، ثم مدَّه على الأرض وأخذ يربط أصابعَ الديناميت ويوصلها بالأسلاك الكهربائية ... وأغمض «تختخ» عينَيه حتى لا يرى نهايته المنتظرة سريعًا وأخذ يفكر في قصة حياته وفي أصدقائه وفي المغامرات التي قام بها ...

والشيء الذي أدهشه أن وجد نفسه يبتسم رغم الشريط اللاصق الذي يشدُّ فمَه. وسمع أقدام الرجلَين وهما يغادران السيارة ويُغلقان الباب خلفهما ... وفتح عينَيه وشاهد الأضواء الصغيرة الحمراء والخضراء والصفراء التي تصدر من جهاز الإرسال الضخم.

ومضى الوقت و«تختخ» يحسب الدقائق الباقية له في الدنيا، وكانت دقَّات جهاز تفجير الديناميت تدقُّ بانتظام كأنها تحسب معه الوقت الباقي على النهاية.

فجأة خُيِّل لـ «تختخ» أنه يسمع من بعيدٍ صوت البومة وأحسَّ بضربات قلبه تتسارع، وتساءل هل هي بومة حقيقية، أم هي الإشارة التي يتبادلها المغامرون الخمسة في الظلام؟ ظلَّ مترددًا لحظات بين اليأس والأمل، ثم كسب الأملُ المعركةَ عندما سَمِع صوتَ نباح «زنجر» وهو يُعلن وصول المغامرين في الوقت المناسب.

وسَمِع وهو لا يكاد يُصدِّق عينَيه صوتَ المفتش «سامي» وهو يصيح بصوت صارم: ارفعَا أيديَكما ولا داعي للمقاومة ... وارتفع في الجو صوتُ «لوزة» وهي تصيح: «تختخ». «تختخ». أين أنت؟

سَمِع «تختخ» صوتَ باب السيارة وهو يُفتح وعلى ضوء المصابيح القوية، شاهد وجهَ «عاطف» و«نوسة» و«لوزة». ثم رأى «زنجر» وهو يقفز إليه ويُلقي بنفسه بين ذراعَيه الموثقتَين.

تمَّ كلُّ شيء بسرعة حتى بدَا لـ «تختخ» كأنه حلمٌ، ولم يُصدِّق نفسه إلا بعد أن وجد رجال المفتش «سامي» يُبطلون مفعولَ الديناميت والمفتش «سامي» يشترك مع المغامرين الثلاثة في فكِّ وثاقِه.

قال المفتش «سامي»: ما هذا كلُّه؟ لقد أوقعتَ بأخطر مجموعة من الجواسيس يا «تختخ» ... لماذا لم تُخطرني؟

تختخ: لقد حاولنا ولكنك كنت مسافرًا.

المفتش: في هذه الحالة كان يجب أن تتحدَّث إلى أحد رجالي ... إننا نطارد هذا الجاسوس منذ سنوات ... ولم نعثر له على أثر مطلقًا!

تختخ: وهل عثرتم عليه؟

المفتش: لا ... ولكن عن طريقك سوف نتمكن من العثور عليه.

تختخ: كيف؟

المفتش: إنك الشخص الوحيد في هذا العالم الذي رأى وسَمِع صوتَه ... وعن طريق الأوصاف التي ستُعطيها لنا سوف نتمكَّن من الوصول إليه!

تختخ: ولماذا لا تصلون إليه عن طريق استجواب مَن قبضتم عليهم؟

المفتش: إنهم لا يعرفونه ... لقد كان المفروض أن يتصل بهم عن طريق جهاز الاستقبال الصغير الذي كان معه، والذي حدث عندما هاجمه «زنجر» أن فُقد هذا الجهاز ... وهكذا أصبح من المستحيل أن يَصِل إلى الرجال الأربعة ... أو يَصِلوا هم إليه ... وبمعنًى آخر ... لقد قبضنا على عصابة الجواسيس ولكننا لم نَصِل بعدُ إلى العميل السري.

تختخ: وماذا سنفعل الآن؟

المفتش: سنذهب للراحة ... وفي الصباح سنلتقي لتحليل الموقف، ووضع خطة العمل المقبلة.

تختخ: وأين «مُحِب»؟

المفتش: لقد أنقذناه، وهو الآن ينعم بنوم هادئ في منزله.

وفي صباح اليوم التالي اجتمع المغامرون الخمسة في حديقة منزل «عاطف» ومعهم المفتش «سامي» الذي لخَّص الموقف قائلًا: إن العميل السري له نشاطٌ واسع داخل بلادنا ... وكان يُرسل معلوماتِه عن طريق جهاز إرسال صغير معه ... إلى محطة متحركةٍ هي السيارة التي رأيتَها يا «تختخ» وتُشبه سيارة الأثاث، وعندما أحسَّ أننا نُضيِّق عليه الخِناق طلب مساعدته في مغادرة مصر ... وهكذا أعلنوا في الأهرام عن طريقة الاتصال بهم ... وهي موجةٌ جديدةٌ لأننا كنا قد عرفنا الموجة القديمة وكِدْنا نَصِل إليهم.

وسكت المفتش لحظات ثم قال: وفي الليلة التي كان في طريقه إلى محطة الإرسال قفز عليه «زنجر»، ودارت المعركة كما سمعتُ وعلمت منكم ...

تختخ: وكيف تمَّ إنقاذي أمس ليلًا؟

ردَّ «عاطف»: لقد فهمتُ إشارتَك عندما أطلقتَ شعاع البطارية من السيارة. فأسرعتُ إلى المنزل، واتصلتُ بالمفتش «سامي» وعرفت أنه عاد من السفر إلى منزله ... فاتصلت به في منزله وحضر ... واستخدمنا جهاز اللاسلكي الصغير في متابعة مكان السيارة!

تختخ: ولكنكم تأخرتم في الوصول إليَّ ... وقد كادت أصابع الديناميت تُمزقني!

عاطف: الذي حدث أن بطاريات جهاز اللاسلكي انتهت ... وقد أضعنا وقتًا طويلًا في البحث عن بطاريات أخرى.

التفت «تختخ» إلى المفتش وسأله: لقد كان هناك أربعة رجال ... اثنان منهم هما اللذان قبضتم عليهما في السيارة الكبيرة ... ولكنْ هناك اثنان آخران فرَّا في سيارة أخرى.

المفتش: نعم ... ونحن الآن نقوم بمطاردتهما قُرب شاطئ البحر.

تختخ: لقد سمعتهم فعلًا يتحدثون عن شاطئ.

المفتش: المهم الآن أن نضع خطة للإيقاع بالعميل السرِّي ... وأول خطوةٍ هي أنني أُعلن في الصحف عن سقوط الجواسيس في أيدينا حتى لا يفزعَ ويختفي ... وفي إمكانكم أنتم مساعدتنا في الإيقاع بهذا العميل الذي استطاع أن يختفيَ عن أعيننا فترة طويلة.

نوسة: إن المغامرين الخمسة في خدمة العدالة!

المفتش «سامي»: شُكرًا لكم جميعًا ... وسوف أراكم غدًا لوضع خطة الإيقاع بالعميل السرِّي.


هنداوي